

Gaylord
GAYLAMOUNT
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N.Y.
Stockton, Calif.

B
741
Q98
v. 8

CORNELL
UNIVERSITY
LIBRARY

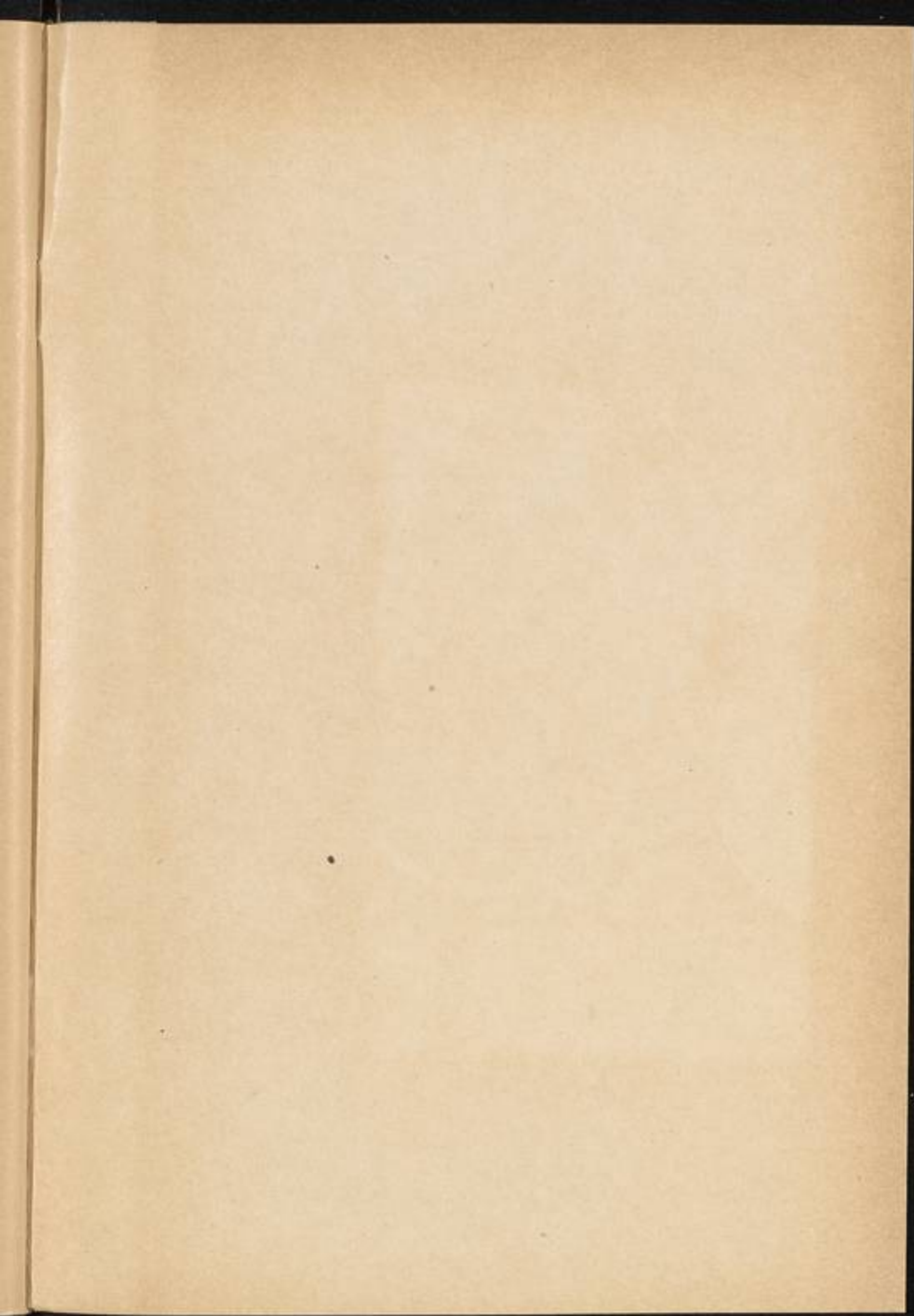




فلاسفة العرب



الليثي
رياء



يوسف قدير

الكلبي



دراسة - مختارات

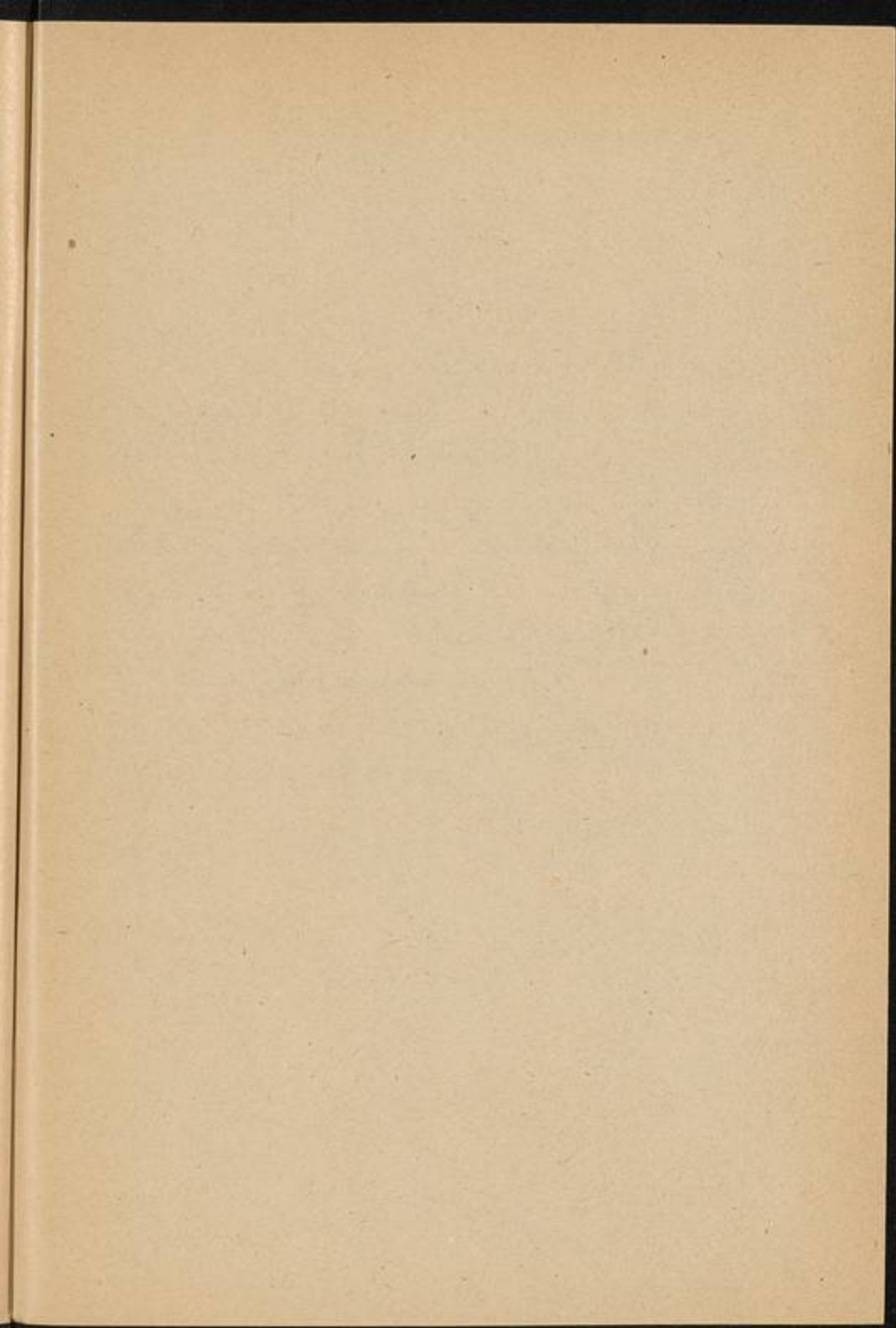
B
741
Q98
4.8

B 925/31
X
V.P.A

كان الكندي ، الى زمن قريب ، اسماً معروفاً وفكراً مجهولاً .
كان الباحثون يقولون عنه - حين يقولون - انه عالم اكثر مما هو فيلسوف ،
وانه خلف بعض اراء متناثرة ، لم يتعمق ولم يبن .

ليس يعيننا الآن ان نعرف الكندي كعالم ، او ان نعرفه الى الناس .
اما الكندي الفيلسوف فقد طالعنا ما استطعنا الحصول عليه من رسائله ،
فوجدنا عقلاً اطلع على خلاصة الفكر اليوناني ، والقي البذور الاولى
لاهم ما جاء في الفكر العربي ، وبالتالي وجدنا انفسنا امام اول بان في
صرح الفلسفة العربية ، ومن احقهم بالعناية والدرس .

وانا ، اذ نشر هذا البحث في الكندي ، نخطّ اساساً عليه بنى
اللاحقون ، وندلّ على منهل منه وردوا .



الكندي

? ٨٠١ - ? ٨٦٦

? ١٨٥ - ? ٢٥٢ هـ

ترجمته

هو ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، الملقب « بفيلسوف العرب » .

كان شريف الاصل ، عريق الحسب ، وكان ابوه اسحق اميراً على الكوفة للمهدي (١٥٩ - ١٦٩ هـ = ٧٧٥ - ٧٨٥) ، والرشيد (١٧٠ - ١٩٤ هـ = ٧٨٦ - ٨٠٩) .

قيل انه كان يهودياً واسلم ، وقيل بل كان نصرانياً . وكلا القولين لا يستند الى مقنع .

ولد في البصرة ونشأ ، ثم اتى بغداد . اتصل بالأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨١٣ - ٨٣٣) ، واخيه المعتصم (٢١٨ - ٢٢٨ هـ = ٨٣٣ - ٨٤٢) ، وادب محمد بن المعتصم ، وكان عظيم المنزلة عند جميعهم . اما المتوكل (٢٢٣ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١) فقد نقم عليه ، وضربه ، وابعده . كان الكندي فيلسوفاً ، قريباً من المعتزلة ، فقربه الأمون والمعتصم ، لانها

كانا من المعتزلة يجبان الفلسفة ، وعضد المتوكل مذهب اهل السنة ، فحنق على الكندي واضطهده . وصبر الكندي على المحنة ، وآثر غنى العقل على رضى الخلفاء . :

وعند مليكك فابغ العلو وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال وان التعزز بالانفس^(١)

ذكر القفطي ان الكندي ترجم الكثير من كتب الفلسفة ، وأوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب . فهل عرف الكندي السريانية او اليونانية ليقوم بهذه الترجمة ، ام كانت ترجمته تلخيصاً فقط لترجمات غامضة ، وايضاحاً ؟ ان الفرض الثاني اقرب الى روح النص ، وارجح .

وذكر القفطي ايضاً ان الكندي اشتهر بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية . وذكر ابن النديم انه رأى ، بخط فيلسوفنا ، كتاباً في ملل الهند نسخته الاصلية من عام ٥٢٤٦ = ٨٦٣ . وعليه يكون الكندي اطلع على اهم افكار بيثته ، وان تفاوت هذا الاطلاع عمقاً ومدى .

مات الكندي على اثر علة في ركبته . ويظهر ان الشراب العتيق كان يصلح العلة ، فلما تاب الكندي عن الشراب اشتد المرض واهلكه .

اما خالق الكندي فقد امتاز ، على ما نعلم ، باشياء . :
امتاز اولاً بالبخل ، ان صح ما نسب اليه ابن النديم ، وصحّت وصيته الى ابنه . وبما جاء في هذه الوصية : « يا بني ، الاب رب ،

(١) من ابيات ذكرها ابن ابى اصيعة للكندي .

والإخ فيح ، والعم غم ، والحال وبال ، والاقارب عقارب ، وقول «لا»
 يصرف البلا ، وقول «نعم» يزيل النعم . وسماع الغناء برسام حاد ، لان
 الانسان يسمع فيطرب ، وينفق فيسرف ، فيفتقر فيعتم فيعتل فيموت
 والدينار محموم ، فان صرفته مات . والدرهم محبوس ، فان اخرجته فر .
 والناس سخرة ، فخذ شئهم واحفظ شئك !»
 وامتاز الكندي بمعاشرته الخلفاء ، والترفع عن سوقة الناس ومخالطة
 العامة ، يدفعه الى ذلك سمو حسب وسمو فكر .
 وامتاز بحب السكينة ، والسلامة من النعم^(١) ، والتفرغ لشؤون
 العقل ، كما يبدو حرصه - من مقدمات رسائله وخاتمتها - على افهام المتعلم ،
 وهداية الجاهل .

تأليفه

ذكر المؤرخون للكندي ما يربو على مائتي مؤلف في مختلف فروع
 الفلسفة ، كما كانت تفهم في ذلك العصر . ونكتفي هنا بذكر اهم ما
 طبع من تأليفه :

١ - كمية كتب ارسطو :

يسرد كتب ارسطو في :

- المنطق : المقولات ، والتفسير (= العبارة) ، والعكس من الرأس
 (= القياس) ، والايضاح (= البرهان) ، والمواضع
 (= الجدل) ، والمنسوب في السوفسطائيين ، والبلاغي ،
 والشعري .

(١) له رسالة : « الحيلة لدفع الاحزان . »

- والطبيعيات : الحبر الطبيعي (= السماع الطبيعي) ، والسماء ،
والكون والفساد ، والعلوي (الآثار العلوية) ،
والمعادن ، والنبات والحيوان .
- والنفسانيات : كتاب النفس ، والحس والمحسوس ، والنوم واليقظة ،
وطول العمر وقصره .
- وما بعد الطبيعيات : كتاب واحد .
- والسياسة : الاخلاق الى نيقوماخوس ، والكتاب المدني .

يقف الكندي عند هذا الحد من التفصيل ، ويقول ان لارسطو غير ذلك كتباً كثيرة رسائل شتى .

ويرى الكندي حاجة الفيلسوف الى معرفة كتب ارسطو التي حدها باسماؤها ، كما يرى ان فهم هذه الكتب لا يتم الا لمن درس الرياضيات ، اي العدد والهندسة والتنجيم والتأليف (= الموسيقى) ، ودرس علم الكم والكيف والجوهر .

وفي الرسالة ذكر لاغراض ارسطو في كتبه ، واشياء في المنطق ، ومقابلة بين علم الرسل وعلم البشر .

٢ - حدود الاشياء ورسومها :

تحديد لالفاظ فلسفية عديدة .

٣ - الفلسفة الاولى :

اشرف الصناعات الفلسفة ، واشرف الفلسفة الفلسفة الاولى ، اي « علم الحق الاول الذي هو علة كل حق . » الله ازلي ، غير معلول ، واحد ، بسيط ، تام ...

أف الكندي هذا الكتاب للخليفة المعتصم .

٦ - الفاعل الحق الاول والفاعل الثاني بالمجاز :

الفاعل اثنان : فاعل حقيقي يفعل دون ان ينفع ، وهو الله فاعل الكل ؛ وفاعل بالمجاز منفع عن الله ، او عن منفع لله ، وهو كل المخلوقات .

٥ - تنامي جرم العالم :

جرم العالم متنامٍ .

٦ - مائة^(١) ما لا يمكن ان يكون لا نهاية ، وما الذي يقال لا نهاية له : يستحيل ما لا نهاية له بالفعل في الجرم والحركة والزمان ، ويمكن بالقوة .

٧ - وحدانية الله وتناهي جرم العالم :

جرم العالم متنامٍ ، ومثله حركته وزمانه . فالعالم اذاً حادث ، وله محدث هو الله . والله واحد .

٨ - العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد :

العلة الفاعلة البعيدة للكون والفساد على الارض هي الله ، علة كل شي . وسبب كل نظام . اما العلة القريبة فهي الافلاك . ويتطرق الكندي الى تأثير المناخ في اجسام الناس واخلاقهم^(٢) .

٩ - وجود الجرم الاقصى لبارئه :

الاجرام السماوية حية ، ناطقة ، متممة لارادة الله .

•

(١) اي ماهية .

(٢) رسائل الكندي : مصر : ص ٢٢٥-٢٢٦

١٠ - جواهر لا اجسام :

يوجد جواهر ليست جسمانية هي النفوس .

١١ - القول في النفس ، المختصر من كتاب ارسطو وفلاطون وسائر الفلاسفة :

في روحانية النفس ، وخلودها ، وعلمها ، ومصيرها .

١٢ - كلام في النفس مختصر وجيز :

صفحتان قارن فيها الكندي بين ارسطو وافلاطون في مسألة اتصال

النفس بالبدن ، واستخلص ان لا خلاف بين الفيلسوفين .

١٣ - ماهية النوم والرويا :

النوم والرويا نوعان من التفكير اعمق من التفكير اليقظة .

١٤ - رسالة في العقل :

عرض لرأي القدماء في العقل ، سببا لرأي ارسطو وافلاطون .

فلسفته

نشأ الكندي في البصرة ، وعاش في بغداد ، يوم كان الفكر مزدهراً في هاتين المدينتين ، ويوم كانت التراجم عن اليونانية في اوجها ، والمعتزلة في اقصى سطوتها ، والحلفا . يدفعون الى التراجم ويؤيدون تعاليم المعتزلة ، فلم يكن بد من ان يتأثر الكندي بذلك الجو الفكري المحوم ، وان يسلك سبله ، ويندفع في تياره .

وان نظرة سريعة على ما خلفه الكندي من كتب ترينا تفشح هذا العقل لكل الوان العلم والفاسفة ، وتأليفه في مختلف نواحي الفكر . لقد ألف في الموسيقى والهندسة والحساب والفلك والطب والتنجيم ، كما ألف في المنطق والنفس والالهيات والسياسة . ولقد استقى الكندي من قداماء اليونان ، من اقليدس وبطليموس وبقرات ، ومن سقراط وافلاطون وارسطو .

على ان اكثر تأليف الكندي مفقود ، وما نعرفه مطبوعاً من كتبه يبحث في شتى المسائل ، دون استقصاء . وانا نوجز اراءه في المسائل التالية : الله - النفس - الاخلاق .

الله

من السهل ان تجرد ، في رسائل الكندي ، اقراراً بوجود الله كعلة اولى لوجود العالم ، وللحركة فيه ، وللنظام الشائع في كائناته . ومن السهل كذلك ان ترى الكندي يعدد صفات الله ، ويبالغ في التعميد والتفصيل . على انك تلاقي اكثر من عقبة حين تريد ان تثبتي البراهين ، وان تميزها ، وان تتدرج من برهان الى آخر .

ومع ذلك اليك ما استخلصناه كبراهين على وجود الله ، ثم اهم ما
اثبت الكندي له من صفات :

١ - وجود الله

يمكن ردّ براهين الكندي على وجود الله الى اثنين :

١ - العالم حادث فله محدث :

لا يكون الشيء . علة ذاته^{١١} . فكل ما لم يكن ثم كان - كل
حادث - له علة أحدثته .

والحال ان العالم الجسماني حادث . فله علة هي الله .

اما برهان حدوث العالم فهذا : لو كان زمان وجود العالم قديماً لا
نهاية له ، لما امكن ان ينتهي الى الزمان الحالي ، لانه لا يمكن عدّ
مدّات لا نهاية لها . والحال انه انتهى الى الزمان الحالي . اذاً زمان
وجود العالم متناهِ ، والعالم حادث .

٢ - في العالم تدبير متقن فله مدبّر حكيم :

في العالم تدبير اشبه بتدبير النفس للبدن ، مما دفع القدماء الى وصف
الانسان بانه عالم صغير .

والذي يرى ترتيب هذا العالم ، وفعل بعضه في بعض ، واتقان هيئته
على الامر الاصلح ، يستدل على وجود مدبّر حكيم رتب كل ذلك ودبّر .

٢ - صفات الله

نكتفي بما اثبت الكندي لله من صفات بالصفات التالية :

١ - الله ازلي :

ليس الله حادثاً والا لكان من العالم ، معلولاً . اذاً هو ازلي ، غير معلول ، غير قابل للاستحالة ، تام .

٢ - الله واحد بسيط :

لا شريك لله ، ولا تركيب فيه ، فهو وحدة محض خالٍ من كل انواع الكثرة .

ان الالهة لا تتعدد الا اذا انفصلت بعضها عن بعض بحالٍ ما ، وبالتالي الا اذا تركبت مما هو عام لها ، ومما هو خاص فاصل . والحال ان لكل مركب مركباً ، فلا يبقى الله العلة الاولى .

ويحتاج الله كذلك الى مركب اذا كان فيه نوع من التركيب ، اي تركيب كان .

اذاً الله واحد وبسيط .

٣ - والله صفات اخرى لا يثبتها الكندي ببراهين ، منها انه

حي ، حكيم ، رحوم ، واق من الزلزل ، ممسك كل ما ابداع ، تام القدرة ، فائض الجود ...

العالم

نرى مع الكندي :

١ - اجزاء العالم

في وسط العالم الارض ، ثم تتوالى افلاك بعضها في جوف بعض من فلك القمر الى الفلك الاقصى المحيط . طبقاً لما علم بطليموس ، وسيعلم اكثر فلاسفة العرب .

يتكون ما تحت القمر من اربعة عناصر ، الماء ، والهوا ، والتراب
والنار ، ويتكون كل جسم من هيولى وصورة .
عالم ما تحت القمر خاضع للتغير ، للكون والفساد ، اما عالم الافلاك
فلا فساد فيه .

٢ - تنامي العالم جرمًا وزمانًا وحركة

كل ما في العالم متنامٍ ، ولا شيء فيه لا نهاية له بالفعل . ما لا
نهاية له بالقوة فقط جائر .

جرم العالم متنامٍ : اذا فرضنا جرم العالم لا نهاية له ، وفصلنا منه
جزءًا متناهي العظم ، فالباقي منه اما متنامٍ واما غير متنامٍ . فان كان
الباقي متناهيًا ، فانه ان اعدنا اليه الجزء المتناهي ، المفصول عنه ، يظل
متناهيًا . وان كان الباقي غير متنامٍ ، فما يكون حاله ان اعدنا اليه
الجزء المفصول ؟ انه لا يمكن ان يصبح اكبر مما كان في الاصل - والا
لاصبح ما لا نهاية له اكبر مما لا نهاية له ! - ، ولا يمكن ان يظل
مساويًا لما كان ، وقد زيد عليه جزء . فقروض جرم للعالم لا نهاية له
يؤدي الى متناقضات ، وبالتالي هو مستحيل .

وزمان العالم متنامٍ - كما رأينا - والا لما امكن ان ينتهي الى
الزمان الحاضر ، وبالتالي العالم حادث .

وحركة العالم متناهية : لا حركة دون جرم ، وجرم العالم حادث ،
فالحركة كذلك . بتعبير آخر : الزمان مدة تمدها الحركة ، والزمان
حادث ، فالحركة كذلك .

الجرم والزمان والحركة لا يسبق بعضهم بعضاً .

٣ - ابداع العالم

ما صدر العالم عن الله بتسلسل وفيض ، ولا صنع الله العالم من مادة غير معلولة . ان الله ابداع كل شي ، من لا شي . بقوله له : كن فكان .

وبقاء هذا العالم - مثل وجوده - رهن المشيئة الالهية .

النفس

بحث الكندي في النفس مقتضب وجيز ، مأخوذ - على قوله - من الفلاسفة القدماء . كافلاطون وارسطو وغيرهما .
وهذا اهم ما نجد :

١ - بساطة النفس

القوى النفسانية ثلاث : غضبية ، وشهوية ، ونطقية . الغضب والشهوة يعرضان على الحلي ما تحلل من جسده ، ويصلحان ما اختل ، اما النطق فلتمام فضيلته^{١)}

وبرهان الكندي على وجود قوة نطقية في الانسان هو هذا : يعرض للانسان غضب او شهوة ، فيهب فيه ما يقاوم الغضب ، ويكبح الشهوة . اذاً في الانسان قوة غير الغضب والشهوة ، هي نفس بسيطة روحية ، نسبتها من الله نسبة ضياء الشمس من الشمس .

٢ - معرفة النفس

قوى الادراك ، عند الكندي ، هي :

(١) رسائل الكندي ص ٢٥٥

- ١ - الحواس الخمس : تنال صور المحسوسات محمولة في طبيعتها .
 ٢ - المصورة : او الفنتاسيا او التوهم او التخيل : لها عملان :
 تنال صور المحسوسات مع غيبة طبيعتها ، وتركب منها صوراً جديدة ،
 كأن تركيب ، مثلاً ، انساناً طائرًا^{١)} .
 ٣ - العقل : نظرية الكندي في العقل ملتبسة غامضة . وهذا ما
 نرى عنده من عقول :

١ - العقل بالقوة :

هو قدرة في النفس على الادراك ، قبل اي ادراك .

ب - العقل بالفعل :

هو العقل بالقوة ، وقد ادرك الكلليات - اي انواع الاشياء . واجناسها -
 فاصبحت قنية في النفس تستعملها متى شئت ، شأنها شأن الكتابة في
 الكاتب .

ج - العقل الظاهر :

هو العقل حين يدرك الكلليات اولاً ، او حين يستعيدها بعد اقتنائها .
 هو العقل وقت ادراكه الكلليات ، شأنه شأن الكاتب حين يكتب
 لأول مرة ، او يراجع ما كتب .

ومن الواضح ان هذه العقول ليست ثلاثة عقول متميزة ، بل هي
 عقل واحد في النفس : قبل ان يدرك المعقولات ، وفي حالة اقتنائه لها
 اقتناء عادياً ، ووقت ادراكها بالفعل اولاً او استعادتها ثانياً .

د - العقل المستفاد :

هو الكلليات نفسها ، اي المعقولات التي يدركها عقل الانسان .

(١) رسائل الكندي : ١٠٦ ، ١٦٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩

وتسمية الكلليات عقلاً تسمية تدعو الى الالتباس ، والأولى ان تسمى
المعقول المستفاد .^{١)}

هـ - العقل بالفعل ابداً :

يصفه الكندي ، في رسالته في العقل ، بأنه « علة واول لجميع
المعقولات والعقول الثواني » ، وبأنه هو الذي يخرج العقل بالقوة من القوة
الى الفعل .^{٢)}

(١) انظر رسائل الكندي ص ٣٠٢ حيث جاء : « وكذلك معقولها (النفس)
فانه ليس غير القوة منها المبدأ عقلاً . »

(٢) ان الكندي ، في كتاب الفلسفة الاولى ، ينسب الى العقل المستفاد - اي
المعقولات - اخراج النفس العاقلة من القوة الى العقل ، اي ما ينسبه - في رسالته
في العقل - الى العقل بالفعل ابداً ، او العقل الاول . ونرى ان نوفق بين القولين
هكذا : ان الكندي يجعل من العقل الاول علة المعقولات ، فهو اذاً - بواسطة
هذه المعقولات - يخرج العقل الانساني من القوة الى الفعل .
بقي ان نعرف ما هو هذا العقل الاول .

ليس هذا العقل قوة في النفس ، لان الكندي يذكره كعقل مستقل ، ويجعل
منه علة لجميع العقول الثواني . وارى ان نفهم بالعقول الثواني العقول الظاهرة
(المختارات : ص ٥٦) .

وليس هذا العقل الله نفسه ، على الارجح ، لان الكندي يرفض ان يكون
الله عقلاً ، لثلاث سبب : يتكثر بتكثير معقولانه ، هو الواحد المحض . (الفلسفة الاولى
ص ١٥٥ ، ١٦٠) .

وليس هذا العقل العقل الفعال ، كما ورد في نظرية الفيض عند الفارابي وابن سينا ،
لان الكندي لا يقول بالفيض .

هو ، على ما نعتقد ، عقل مفارق . وقد لا يكون للكندي نفسه فكرة دقيقة
عنه ، بل اخذه عن ارسطو القائل بعقل فمأل شبيه جدًا العقل . ان شراح
ارسطو اختلفوا - وما يزالون - في تحديد طبيعة هذا العقل ، وليس شراح الكندي
باقل ترددًا واختلافًا .

النوم هو ترك استعمال النفس للحواس ، وبالتالي تفرغ النفس الى التفكير : ان النفس لا تنام ، بل النوم نوع من التفكير اصفى واعمق . والنفس ، في نظر الكندي ، علامة بالطبع ، ولهذا تستطيع ان ترى الاشياء قبل كونها ، وان تنبئ بها . ان الكندي لا يشرح بوضوح هذا العلم بالطبع للنفس ، هل هو علم مكتسب ام اصيل . ولكن فكرته تبدو مستوحاة من افلاطون ، من قوله بعلم للنفس غير مكتسب ، دون ان يقول الكندي بنظرية المثل ، ووجود النفس قبل البدن .

ويرى الكندي ان الرويا ترىنا الاشياء كما هي ، او ترىنا اضدادها ، او تعبر عنها بالرمز ، فترمز عن السفر ، مثلاً ، بان ترىنا ذاتنا طائفة . ويأتي هذا الاختلاف من تفاوت الاستعداد في الحي لقبول انباء النفس ، ومن قوة النفس على اظهار انبائها .

٦ - النبوة

ما النبوة ؟ وما علاقتها بالفلسفة ؟

بين الفيلسوف والنبى فرقان :

اولاً : الفيلسوف يصل الى الحق ببحث شاق طويل ، اما النبى فيصل اليه بنور الهى ، دون جهد او تكلف . هو الله يطهر نفس النبى وينيرها ، ومتى طهرت النفس علمت الغيب ، واثت بالوحي .
ثانياً : تعبير النبى اوضح بياناً ، واغوى اجازاً .

اما من حيث الحق المدرك فلا فرق بين الفيلسوف والنبى : ان كل ما علمه محمد موجود بالمقاييس العقلية ، وان لذوي الالباب ان يتأولوا كلام النبى . كل خلاف بين الدين والفلسفة هو خلاف بالظاهر فقط : اول الوحي يتفق والفلسفة .

لهذا يرى الكندي ان درس الفلسفة امر مباح . ولما كان الفرد عاجزاً عن نيل الحق والاحاطة به ، وجب علينا ان نشكر القداما على ما خلقوا ، وان نأخذ عنهم ما تركوا من فلسفة .
ويحمل الكندي على علماء الدين ، المتاجرين بالدين ، الناهاين عن الفلسفة : أسنا بالفلسفة نعلم الله ، ونعرف الفضيلة ؟

• - مصير النفس

النفس ، في نظر الكندي ، خالدة .
اما سعادتها ففي ما ترى وتعلم ، اذا فارقت البدن : انها تعلم ما يعلم الله ، او دون ما يعلم قليلاً .
على ان هذا العلم لا يتم لها الا اذا كانت معرضة عن الشهوة والغضب ، طاهرة نقية ، شأنها شأن المرأة لا ينعكس فيها نور الشمس الا اذا كانت صقيلة .
ويورد الكندي قولاً لافلاطون خلاصته ان النفس ، اذا تركت البدن وهي غير طاهرة ، صارت من فلك الى فلك ، من فلك القمر الى فلك عطارد ، الى غيرهما من الافلاك ، تنهذب في كل منها مدة من الزمن ، حتى اذا صارت الى الفلك الاعلى نقيت غاية النقاء ، وارتفعت الى عالم العقل ، وعلمت كل شي . وهذا يعني - استنتاجاً - ان لا خلود في الشقاء . للنفوس الشريرة .

•
اما معاد الجسد فيثبته الكندي ضمناً ، اذ يستشهد بآية من آيات القرآن القائلة به ، ويطنب في اطراف ما في هذه الآية من بيان وإيجاز^(١) .

•
والانسان بعد ، في هذه الحياة ، سريع الزوال ، وعابر سبيل .

الاعراض

يدعو الكندي الى الزهد في المحسوس ، والاعراض عن الشهوة ،
والتحلي بالفضيلة .

والفضائل اربع : الحكمة ، والنجدة ، والعفة ، والعدل .
الحكمة علم الاشياء بمقائدها ، واستعمال ما يجب من هذه الحقائق .
والنجدة الاستهانة بالموت في اخذ ما يجب ، او دفع ما يجب . والعفة تناول
الاشياء الضرورية للبدن على قدر الحاجة . والعدل ان تريد ما يجب ، ولا تجور .
هذه الفضائل الاربع اصول ، ومنها تتشعب باقي الفضائل .
والفضيلة وسط ، طرفاه رذائل : النجدة ، مثلاً ، وسط بين
التهور والجبين .

نظرة عامة

نجد ، عند الكندي ، قضايا اساسية اخذها عن اليونان ، ونظريات كثيرة رددتها فلاسفة العرب . واليك بايجاز اهم هذه القضايا والنظريات :

- ١ - يتكون كل جسم من هيولى وصورة .
- ٢ - العلل اربع : عنصرية ، وصورية ، وفاعلة ، وتامة .
- ٣ - كل كائن اما بالفعل واما بالقوة . لا يخرج كائن من القوة الى الفعل الا تحت تأثير آخر بالفعل . وما هو بالفعل ابداً اقدم .
- ٤ - لا يكون الشيء . علة ذاته - وبالتالي لكل حادث علة - ولا علة المتحرك متحركاً .
- ٥ - يستحيل ما لا نهاية له بالفعل - زماناً كان او جسماً - ، ويجوز بالقوة .
- ٦ - الله علة العالم ، ومدبره . وهو ازلي ، بسيط ، تام .
- ٧ - تتكون الاجسام الارضية من عناصر اربعة ، ويتكون العالم من افلاك بعضها في جوف بعض . والعالم حادث^(١) ، متناهي جرم السماء ، صدر عن الله خلقاً لا فيضاً .
- ٨ - النفس بسيطة ، خالدة ، سعادتها في العلم . علم النفس رهن طهرها : علم الغيب ، وعلم الرؤى ، وعلم النبوة ، وعلم الحياة الاخرى . والعقل في المعرفة انواع . وتعود النفس الى جسمها بالبعث^(٢) .

(١) انكر اكثر فلاسفة العرب حدوث العالم ، وقالوا بقدمه .

(٢) انكر اكثر فلاسفة العرب بعث الاجساد .

٩ - اصول الفضائل اربعة ، والفضيلة وسط بين طرفين .
وهكذا يكون الكندي اول فيلسوف عربي ورد من الفكر اليوناني
اهم نظرياته ، وقال باهم قضاياها ، فكان لمن اتى بعده هادياً ومنهلاً^(١) .

(١) على ان الكندي لم يعتمد عن تعليم الاسلام الرسمي ابتعاد لاحقيه ، فقال
بحدوث العالم ، وما انكر بعث الاجسام .

مختارات

أبتنا في هذه المختارات النصوص والرسائل التالية :

- ١ - الأزلي
- ٢ - لا يكون الشيء . علة ذاته
- ٣ - الفاعل الحق والفاعل بالمجاز
- ٤ - علة ومدبر
- ٥ - ما هو بالفعل أقدم وعلة
- ٦ - العلل الأربع
- ٧ - وحدة الله وبساطته
- ٨ - رسالة في وحدانية الله ونهاية جرم العالم
- ٩ - الزمان حادث
- ١٠ - رسالة في القول في النفس
- ١١ - رسالة في العقل
- ١٢ - العقل المستفاد
- ١٣ - الحس والمصورة
- ١٤ - الرويا
- ١٥ - الانسان عالم صغير
- ١٦ - رسالة في حدود الاشياء ورسومها
- ١٧ - فضل القديما .
- ١٨ - ضرورة التأويل
- ١٩ - علم الرسل

الازلي

ان الازلي هو الذي لم يجب ليس هو مطلقاً^(١). فالازلي لا قبل كونياً لهويته . فالازلي هو لا قوامه من غيره^(٢) . فالازلي لا علة له...
الازلي لا يفسد...

والاستحالة تبدل ، فالازلي لا يستحيل ، لانه لا يتبدل ، ولا ينتقل من النقص الى التام ، فالانتقال استحالة ما . فالازلي لا ينتقل الى تام ، لانه لا يستحيل . والتام هو الذي له حال ثابتة يكون بها فاضلاً ، والناقص هو الذي لا حال له ثابتة يكون بها فاضلاً . فالازلي لا يمكن ان يكون ناقصاً ، لانه لا يمكن ان ينتقل الى حال فيكون بها فاضلاً ، لانه لا يمكن ان يستحيل الى افضل منه ، ولا الى انقص منه بته . فالازلي تام اضطراراً .

(من كتاب في الفلسفة الاولى)

الازلي : الذي لم يكن ليس^(٣) ، وليس يحتاج في قوامه الى غيره ؛ والذي لا يحتاج في قوامه الى غيره فلا علة له ، وما لا علة له فدائم ابداً .
(رسالة في حدود الاشياء ورسوماها)

(١) اي لم يجب عدم وجوده .

(٢) اي ليس قوامه من غيره ، بل من ذاته .

(٣) ليس : غير موجود .

لا يكونه الشيء، علة ذاته

ليس ممكناً ان يكون الشيء . علة كونه ذاته لانه لا يجلو من ان يكون أيضاً وذاته ليس ، او يكون ليساً وذاته أيس ، او يكون ليساً وذاته ليس ، او يكون ايضاً وذاته أيس .
فان كان ليساً ، وذاته ليس ، فهو لا شيء . ، وذاته لا شيء . . ولا شيء . لا علة ولا معلول ، لان العلة والمعلول اتنا هما مقولان على شيء له وجود ما

وكذلك يعرض ان كان ليساً ، وذاته أيس . لانه ايضاً - اذ هو ليس - لا شيء . . ولا شيء . لا علة ولا معلول ، كما قدمنا . فهو لا علة كونه ذاته

وكذلك يعرض ان كان ايضاً ، وذاته ليس^(١)
وكذلك ايضاً يعرض ان كان ايضاً ، وذاته ايس^(٢)
ومثل هذا ايضاً يعرض ان كان ليساً ، وذاته ليس^(٣)
فليس يمكن اذا ان يكون شيء علة كونه ذاته .

(كتاب الفلسفة الاولى)

الفاعل بالحق والفاعل بالمجاز

ان الفعل الحقيقي الاول تأييس الأيسيات عن ليس^(١) .
وهذا الفعل بين انه خاصة لله تعالى الذي هو غاية كل علة . فان

-
- (١) ما هو ليس اي غير موجود لا يمكن ان يكون علة او معلولاً .
(٢) ان كان الشيء علة لذاته ، كان غير ذاته ، وكان هو هو ، وهو لا هو ، وهذا غير ممكن .
(٣) أيس : أوجد . الأيسيات : الموجودات . عن ليس : عن لا شيء . .

تأيس الايسيات عن ليس ليس لغيره. وهذا الفعل هو المخصوص بالابداع^١.
 فاما الفعل الحقي الثاني ، الذي يلي هذا الفعل ، فهو اثر المؤثر في المؤثر
 فيه . فاما الفاعل الحق فهو المؤثر فيه ، من غير ان يتأثر هو بجنس من اجناس
 التأثر . فاذا الفاعل الحق هو الفاعل مفعولاته من غير ان ينفعل هو بته .
 فاما المنفعل فهو المتأثر من تأثير المؤثر ، اعني المنفعل عن الفاعل .
 فاذا الفاعل الحق الذي لا ينفعل بته هو الباري ، فاعل الكل ،
 جل ثناؤه . واما ما دونه ، اعني جميع خلقه ، فانها تسمى فاعلات
 بالمجاز ، لا بالحقيقة ، اعني انها كلها منفعلة بالحقيقة . فاما اولها فعن باريه
 تعالى ، وبعضها عن بعض ، فان الاول منها ينفعل ، فينفع عن انفعاله
 آخر ، ينفع عن انفعال ذلك آخر ، وكذلك حتى ينتهي الى المنفعل
 الاخير منها . فالمنفعل الاول منها يسمى فاعلاً بالمجاز للمنفعل عنه ، اذ
 هو علة انفعاله القريبة ، وكذلك الثاني ، اذ هو علة الثالث القريبة في
 انفعاله ، حتى ينتهي الى آخر المفعولات . فاما الباري تعالى فهو العلة
 الاولى لجميع المفعولات التي بتوسط ، والتي بغير توسط ، بالحقيقة ، لانه
 فاعل لا منفعل بته ، الا انه علة قريبة للمنفعل الاول ، وعلة بتوسط لما
 بعد المنفعل الاول من مفعولاته .

(رسالة في الفاعل الحق الاول التام والفاعل الناقص الذي هو بالمجاز)

علمه ومدبر

ان في الظاهرات للحواس ، اظهر الله لك الحقيّات ، لاوضح الدلالة
 على تدبير مدبرٍ اوّل ، اعني مدبراً لكل مدبر ، وفاعلاً لكل فاعل ،
 ومكوّناً لكل مكوّن ، واولاً لكل اول ، وعلة لكل علة ، لمن كانت
 حواسه الآلية موصولةً باضواء عقله ، وكانت مطالبه وجدان الحق . . .

(١) الابداع : اظهار الشيء . عن ليس (عن رسالة في حدود الاشياء ورسومها) .

ان الله ، جل ثناؤه ، - وهو الآتية^١ الحق التي لم تكن ليس ،
ولا تكون ليساً ابداً - لم يزل ولا يزال ايس ابداً ، وانه هو الحي
الواحد الذي لم يتكثّر بثّة ، وانه هو العلة الاولى التي لا علة لها ، الفاعلة
التي لا فاعل لها ، والمتّسمة التي لا متّسم لها ، والمؤيس الكل عن ليس ،
والمصير بعضه لبعض اسباباً وعللاً . . .

ان في نظم هذا العالم وترتيبه ، وفعل بعضه في بعض ، وانقياد
بعضه لبعض ، واتقان هيئته على الامر الاصلح في كون كل كائن ، وفساد
كل فاسد ، وثبات كل ثابت ، وزوال كل زائل ، لا عظم دلالة على
اتقن تدبير - ومع كل تدبير مدير - وعلى احكم حكمة ، ومع كل
حكمة حكيم . . .

(الابانة عن العلة الفاعلة القرية للكون والفساد)

ما هو بالفعل اقدم وعلة

ان كانت الاشياء . . . إما شيئاً بالفعل ابداً ، واما بالقوة ابداً ،
واما بالقوة ثم يخرج الى الفعل ،
وكان الذي بالفعل ابداً اقدم من الذي بالقوة ثم خرج الى الفعل ، لانه
علة خروجه الى الفعل . . .

فاذن ان كل شيء خارج من القوة الى الفعل فهو ما تحت الكون ،
اذ هو خارج ابداً من حال قد كانت له بالقوة .

١١ الآتية : معنى هذه الكلمة واضح تقريباً وهو يدل على وجود الشيء ،
وحقيقته . على ان ضبط شكلها ، واصطلاحاً مختلف عليه . ففي ما خص الشكل ،
ضبطت هذه الكلمة آتية ، وإتية . وفي ما خص الاصل ، قيل انها من إن العربية ،
او من إن ، وقيل انها من اللفظ اليوناني « أن : أي الوجود او الموجود) ،
او « أون : أي الكائن) .

وان كان شي . بالفعل ابدأ ، لم يكن بالقوة ، فهو الذات التي لا
تقع تحت الكون .
فاذن ما ليس تحت الكون علة خروج ما تحت الكون الى الكون
الذي كان له بالقوة .

(الابانة عن سجود الجرم الاقصى وطاعته لله)

العلل اربع

ان العلل الطبيعية اما ان تكون عنصرية ، واما صورية ، واما
فاعلة ، واما تامة .

واعني بالعنصرية عنصر الشيء . الذي منه يكون الشيء . ، كالذهب
الذي هو عنصر الدينار الذي منه كون الدينار .

واعني بالصورة صورة الدينار التي باتحادها بالذهب كان الدينار .
واعني بالفاعلة صانع الدينار

واعني بالتامة ما له أحد الصانع صورة الدينار بالذهب ، التي هي
المنفعة بالدينار ، ونيل المطلوب به .

(الابانة عن الملة الفاعلة القريبة للكون والفساد)

وهرة الله او بساطه

ان الواحد الخلق ليس هو عنصر ، ولا جنس ، ولا نوع ، ولا شخص ،
ولا فعل ، ولا خاصة ، ولا عرض عام ، ولا حركة ، ولا نفس ، ولا
عقل ، ولا كل ولا جزء ، ولا جميع ولا بعض ، ولا واحد بالاضافة
الى غيره ، بل واحد مُرسل

فالواحد الحق اذن لا ذو هيولى ، ولا ذو صورة ، ولا ذو كمية ،
ولا ذو كيفية ، ولا ذو اضافة ...

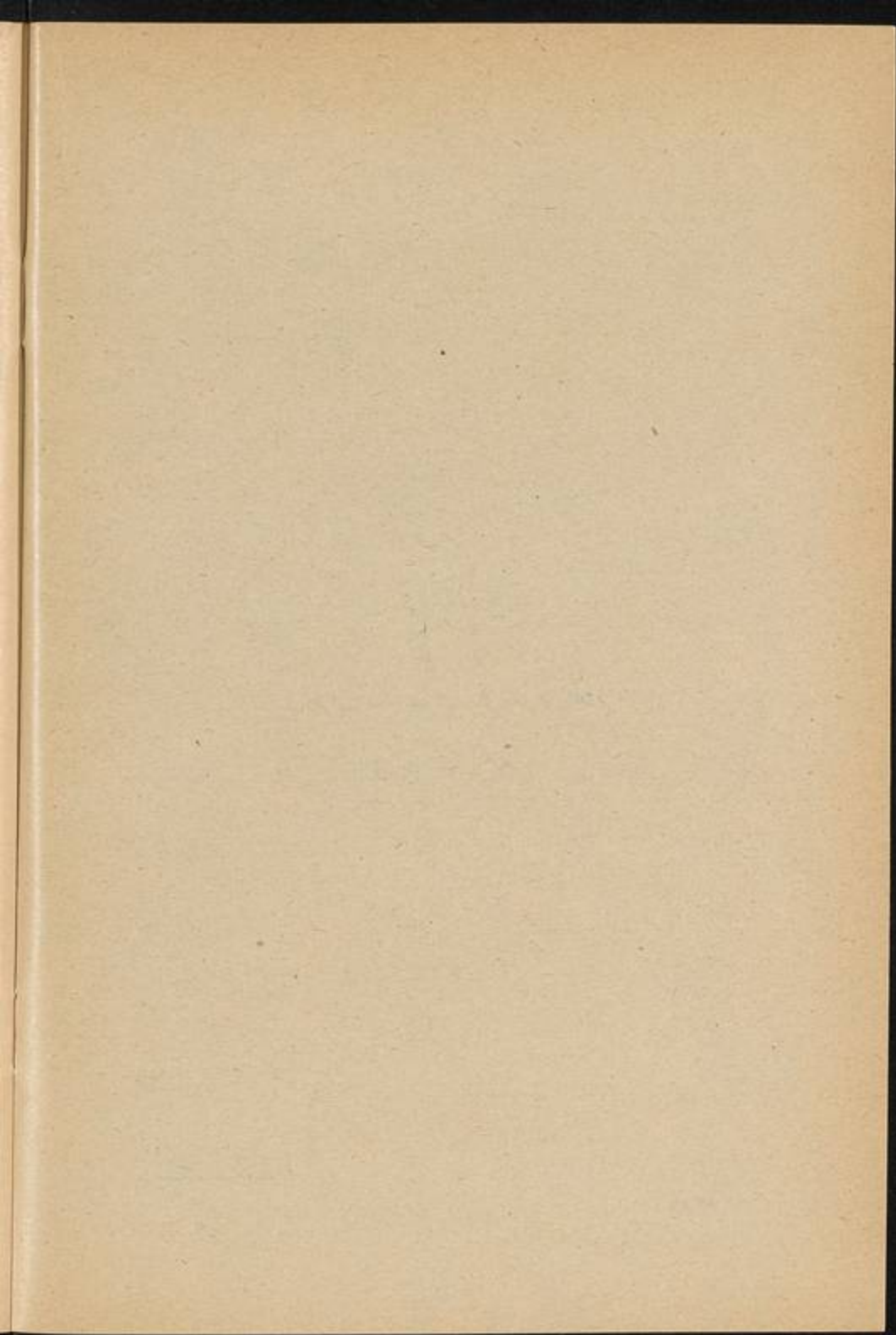
فهو اذن وحدة فقط محض ، اعني لا شيء . غير وحدة ، وكل واحد
غيره فتكثّر .

(الفلسفة الاولى)

رسالة

في وعد الله وتناهي جرم العالم
الى علي به الجرم^(١)

(١) هو شاعر خراساني الاصل، قرّبه المتوكل مدة ثم نفاه، توفي عام ٨٦٩ = ٨٦٣



١) تمهيد

حاطك الله ، ايها الاخ المحمود ، بصنعه ، وسدّدك بتوفيقه ، وحرسك
بمافيته من كل زلل ، ووقفك بتطوّله لأزكى عمل ، وبلّغك من معرفته
قرار رضوانه ، ومستحقّ احسانه .

فهمتُ ما سألت من وضع ما كنت سمعتني اوضحه بالقول - من وحدانية
الله عزّ ذكره ، ومن تناهي جرم العالم ، وامتناع شي . بالفعل من ان يكون
لا نهاية له ، وان ما لا نهاية له انا هو موجود في القوة لا في الفعل - في كتاب
يكون حافظاً على فكرك صورة القول الى استحكام الفهم ، وان اوجز
لك القول في ذلك ايجازاً لا يكون معه تفريق للفهم ، ولا حاجز عن حفظ .
وانا اسأل واهب الحيات ، وقابل الحسنات ، ان يوفق ذلك لمطلوبك ،
ويجسن به هدايتك الى سبيل الرشاد ، البعيدة من احوال المعاد .
وامعري ما هذا الموضع يستغفر عن الاطالة والاطناب الا عند من بلغ
درجتك من النظر ، وحسن الاعتبار ، وأيد بمثل فهمك ، وحرس من
الميل الى الهوى يمثل عزمك .

وقد رسمت لك في ذلك على قدر الطاقة ، على شرائطك ، ولم
آلّك في ايضاح ذلك جهداً . فكن به سعيداً ، وقرّ به حميدا ، اسعدك
الله في دنياك وآخرتك ، واجمل لك جميع عواقبك .

المقدمات الاولى

- وهذا مبدأ قولنا من مطلوبك :
- ان المقدمات الاولى الواضحة ، المعقولة بغير توسط :
- أن كلَّ الاجرام ، التي ليس منها شي . اعظم من شي . ، متساوية .
- والمتساوية ، ابعادُ ما بين نهاياتها واحدة بالفعل والقوة .
- وذو النهاية ليس لا نهاية له .
- وكل الاجرام المتساوية ، اذا زيد علي واحدٍ منها جرمٌ ، كان اعظمها ، وكان اعظم بما كان من قبل ان يُزاد عليه ذلك الجرم .
- وكل جرمين متناهيي العظم ، اذا جمعا ، كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم ، وهذا واجب في كل عظم ، وكل ذي عظم .
- وان الاصغر من كل شئيين متجانسين بعدَّ الاعظم منهما ، او بعدَّ بعضه .

تناهي الجرم

- فان كان جرم لا نهاية له ، فانه اذا فصل منه جرمٌ متناهي العظم ، فان الباقي اما ان يكون متناهي العظم ، واما لا متناهي العظم .
- فان كان الباقي متناهي العظم ، فانه ، اذا زيد عليه الموصول منه ، المتناهي العظم ، كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم ؛ والذي كان عنها هو الذي كان قبل ان يفصل منه شي . ، لا متناهي العظم ، فهو اذن متنامٍ لا متنامٍ ، وهذا حُلف لا يمكن .
- وان كان الباقي لا متناهي العظم ، فانه اذا زيد عليه ما أخذ منه ، صار اعظم بما كان قبل ان يُزاد عليه ، او مساوياً له .
- فان كان اعظم بما كان فقد صار ما لا نهاية له اعظم مما لا نهاية

له " . . . وهذا خلف لا يمكن ، فليس أحدهما اعظم من الآخر .
وان كان ليس باعظم مما كان ، قبل ان يُزاد عليه ، فقد زيد على
جرم جرمٌ فلم يزد شيئاً ، وصار جميع ذلك مساوياً له وحده ، وهو
وحده جزء له ، فالجزء مثل الكل . هذا خلف لا يمكن .
فقد تبين انه لا يمكن ان يكون جرمٌ لا نهاية له .

محمول المتناهي متناهٍ

والاشياء المحمولة في المتناهي متناهية اضطراراً . وكل محمول في
الجرم من كمّ او مكان ، او حركة ، او الزمان الذي هو فاصل
الحركة ، وجملة كل ما هو محمول في الجرم فتنام ايضاً ، اذ الجرم متناهٍ .
فجرم الكل متناهٍ ، وكل محمول فيه ايضاً .

بجوز مالا زبابة له بالقوة

واذ جرم الكل ممكنٌ ان يُزاد فيه بالوهم زيادةً دائمةً - أن
يُتوهم اعظمٌ منه ، ثم اعظم من ذلك دائماً ، فانه لا نهاية في التريد
من جهة الامكان - فهو بالقوة لا نهاية له ، اذ القوة ليست شيئاً سوى
امكان ان يكون الشيء المقول بالقوة . وكل ما في الذي لا نهاية له
بالقوة فهو ايضاً بالقوة لا نهاية له .

تأهلي الحركة والزمان

ومن ذلك الحركة والزمان - فان الذي لا نهاية له انما هو في القوة،

(١) اهلنا هنا نحو خمسة اسطر . اضطربة التعبير تدور حول اثبات بدجيات .

فاما في الفعل فليس يمكن ان يكون شيئا لا نهاية له ، كما قدمنا ،
وان ذلك واجب .

فقد اتضح انه لا يمكن ان يكون زمان بالفعل لا نهاية له
والزمان زمان جرم الكل ، اعني مدته . فان كان الزمان متناهياً ، فان
انية الجرم متناهية ، اذ الزمان ليس بوجود .

ولا جرم بلا زمان ، لان الزمان انما هو عدد الحركة ، اعني انه
مدة تعدها الحركة . فان كانت حركة كان زمان ، وان لم تكن
حركة لم يكن زمان .

والحركة انما هي حركة الجرم ، فان كان جرم كانت حركة ،
وان لم يكن جرم لم تكن حركة^١

والجرم جوهر ذو ابعاد ثلاثة ، اعني طولاً وعرضاً وعمقاً ، فهو
مركب من الجوهر الذي هو جنسه ، ومن الابعاد التي هي فصوله . وهو
المركب من هيولى وصورة .

والتركيب تبدل الاحوال ، التي هي لا تركيب . فالتركيب حركة .
وان لم يكن حركة لم يكن التركيب .

والجرم مركب ، كما اوضحنا . فان لم يكن حركة لم يكن جرم .
فالجرم والحركة لا يسبق بعضها بعضاً .

وبالحركة الزمان ، لان الحركة تبدل ما ، والتبدل عاذاً مدة التبدل ،
فالزمان مدة تعدها الحركة .

ولكل جرم مدة هي الحال هو فيها^٢ انية ، اعني الحال التي هو فيها .
والجرم لا يسبق الحركة ، كما اوضحنا . والجرم لم يسبق مدة تعدها الحركة .

(١) املنا نحو ستة اسطر فصل فيها الكندي انواع الحركة ، فضفت الصلة بين
مقدمات البرهان .

(٢) يعود هو الى جرم ، والضير في فيها الى الحال .

فالجزم والحركة والزمان لا يسبق بعضها بعضاً في الآنية، فهي معاً .

تأهي الزمان أيضاً وهدوث العالم

كل تبدل بفاصل مدة ، والمدة المفصولة هي الزمان .
 وقيل كل فصل من الزمان فصل ، الى ان يُنتهى الى فصل ليس
 قبله فصل ، اي الى مدة مفصولة ليس قبلها مدة .
 ولا يمكن غير ذلك . فان امكن ذلك^(١) ، فان خلف كل فصل
 من الزمان فصلاً بلا نهاية . فاذن لا يُنتهى الى زمان مفروض ابداً ،
 لأن من لا نهاية في القدم الى هذا الزمان المفروض مساو مدته للعدة من
 الزمان المفروض متصاعداً في الازمنة الى ما لا نهاية له .
 وان كان من لا نهاية الى زمن محدود معلوم ، فان من ذلك الزمن
 المعلوم الى ما لا نهاية من الزمان معلوماً^(٢) .

فيكون اذن لا متناهياً متناهياً ، وهذا خلف لا يمكن البتة^(٣) .
 وايضاً ان كان لا يُنتهى الى الزمن المحدود حتى يُنتهى الى زمن
 قبله ، وكذلك بلا نهاية - وما لا نهاية له لا تقطع مسافته ، ولا يُؤتى
 على آخرها ، فانه لا يُقطع ما لا نهاية له من الزمن حتى يتناهى الى
 زمن محدود ببتة ، والانتهاه موجود - فليس الزمان متصلًا من لا نهاية ،

(١) اي غير ذلك .

(٢) معنى الجملة: ان كان الزمان الممتد من القدم الى زمن محدود زماناً معلوماً ،
 فان الزمان الممتد من هذا الزمان المعلوم الى القدم زمان معلوم ايضاً .

(٣) برهان الكندي في هذا النص غامض ، وهذا على ما نرى ، ملخصه : اذا
 سلمنا بقدم الزمان ، بزمان لا نهاية له في الماضي ، لا يمكن القول بان هذا الزمان
 تنهى وبلغ زماناً ما مفروضاً من الازمنة . والحال انه بلغ هذا الزمان المفروض
 اذاً الزمان غير قديم ، متناه .

بل من نهاية اضطراراً. فليست مدة الجرم بلا نهاية.
 وليس ممكناً ان يكون جرم بلا مدة ، فانية الجرم ليست لا نهاية
 لها ، وانية الجرم متناهية . فيمتنع ان يكون جرم لم يزل . فالجرم اذاً
 محدث اضطراراً ، والمحدث محدث المحدث ، اذ المحدث والمحدث من
 المضاف ، فللكل محدث اضطراراً عن ليس .

المحدث واحد

والمحدث لا يخلو ان يكون واحداً او كثيراً .
 فان كان كثيراً ، فهم مركّبون ، لان لهم اشتراكاً في حال واحدة
 لجميعهم ، اي لانهم اجمعين فاعلون - والشئ الذي يعنه شئ واحد
 انما يتكثر ان ينفصل بعضه من بعض بجال ما ، فان كانوا كثيراً ففيهم
 فصول كثيرة ، فهم مركّبون بما عندهم ومن خواصهم^(١) . . .
 والمركّبون لهم مركّب ، لان مركّباً ومركّباً من باب المضاف .
 فيجب اذن ان يكون للفاعل فاعل . فان كان الواحد ، فهو الفاعل
 الاول . وان كان كثيراً ، وفاعل الكثير كثير دائماً ، وهذا يخرج بلا
 نهاية . وقد اتضح بطلان ذلك ، فليس للفاعل فاعل .
 فاذن ليس كثيراً ، بل واحد غير متكثر ، سبحانه وتعالى . عن
 صفات الملحدّين علواً كبيراً ، لا يشبه خلقه ، لان الكثرة في كل الخلق
 موجودة ، وليست فيه بثة ، ولانه مبدع وهم مبدعون ، ولانه
 دائم وهم غير دائمين ، لان ما تبدل تبدلت احواله ، وما تبدل فهو
 غير دائم .

(١) اهلنا جملة غامضة لا يضر اهلها بالمعنى .

خاتمة

فلاحظ هذه المعاني ، ايها الاخ المحمود ، بعين عقلك ، واقتنبا حياة
 نفسك الزكية ، وصابر نفسك على اقتفاء آثارها الحفية ، تقض بك
 الى سعة اوطان المعرفة ، ولين مرتفق الراحة ، وظل رحمة مبدع
 الرحمة .

واياه اسأل ان ينير فهمك ، ويوسع علمك ، ويسعد بذلك
 عواقبك .

الزمانه حادث

ليس يمكن ان يكون زمان لا نهاية له في البدء ، لانه ان كان زمان لا نهاية له في البدء لم يتناه الى زمن مفروض بتة ، لانه ، ان اتى من لا نهاية الى زمن مفروض ، فمن لا نهاية الى زمن مفروض معدود اجزاء متساوية من الزمان . فان كان من لا نهاية في الزمن الى زمن مفروض معدوداً ، فمن الزمن المفروض متصاعداً في الازمنة التي سلفت مساوياً من لا نهاية الى الزمن المفروض ، لان من لا نهاية الى الزمن المفروض مُقبلاً هو الزمن بعينه الذي هو من المفروض الى مسا لا نهاية راجعاً . فاذن المعدود ، المساوي لمعدود متناهِ ، متناهِ ، لان الاعداد المتساوية هي التي لا يزيد بعضها على بعض ولا وحدانية واحدة . فاذن الزمن الذي لا نهاية له متناهِ ، وهذا خلف لا يمكن . فاذن انية الزمن متناهية^(١) .

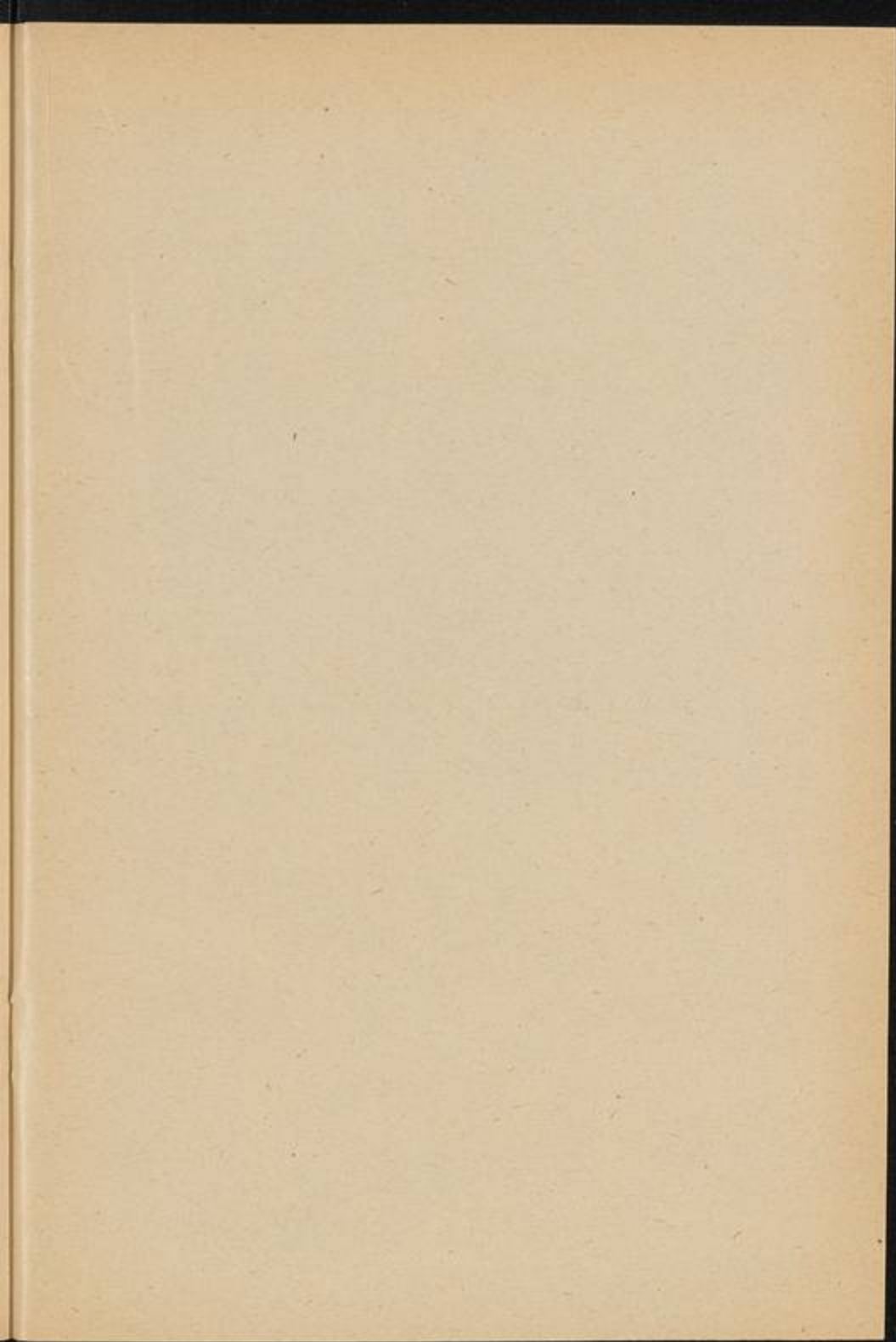
وقد اثبتنا ان الزمان والحركة والجرم لا يسبق بعضها بعضاً في الانية ، فاذن لا الجرم ولا الحركة ، ولا الزمان اذلية .

(في ماهية ما لا يمكن ان يكون لاخاية ، وما الذي يقال
لاخاية له)

(١) خلاصة البرهان هي هذه : لو كان الزمان لاخاية له في الماضي لما انتهى الى زمن مفروض ، لما انتهى ، مثلاً ، الى الزمن الحاضر ، لان ما لاخاية له لا يتناهِ .

رسالة

في القول في النفس ، المختصر من كتاب ارسطو وافلاطونه
وسائر الفلاسفة



غاية الرسالة

سدّدك الله بدرك الحق ، واعانك على نيل مستوعراته .
انه سألت ، اسعدك الله بطاعته ، ان اختصر لك قولاً في النفس ،
وآتي على الغاية التي اليها جرى الفلاسفة في ذلك ، مع اختصار لكتاب
ارسطو في النفس .

ولست آلو جيداً في استعمال البلوغ الى محابك ، والمبادرة الى ما
سألت ، بتلخيص كافٍ ، وفحص شافٍ ، ان شاء الله تعالى ، وبه
القوة ، فاقول :

بساطة النفس

ان النفس بسيطة ، ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ، جوهرها
من جوهر الباري ، عز وجل ، كقياس ضياء الشمس من الشمس .
وقد بين^(١) ان هذه النفس منفردة عن هذا الجسم ، مباينة له ،
وان جوهرها جوهر الهي روحاني ، بما يُرى من شرف طباعها ، ومضادتها
لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب .
وذلك ان القوة الغضبية قد تتحرك على الانسان في بعض الاوقات ،

(١) بين : انضح .

فتجمله على ارتكاب الامر العظيم ، فتضادها هذه النفس ، وتمنع الغضب من ان يفعل فعله ، او ان يرتكب العيظ وترته^(١) ، وتضبطه كما يضبط الفارسُ الفرس ، اذا هم ان يجبح به ، او يده^(٢) . وهذا دليل بين على ان القوة ، التي يفضب بها الانسان ، غير هذه النفس التي تمنع الغضب ان يجري الى ما يهواه ، لان المانع ، لا محالة ، غير المنوع ، لانه لا يكون شي . واحد يضاد نفسه .

فاما القوة الشهوانية فقد تتوق ، في بعض الاوقات ، الى بعض الشهوات ، فتفكر الغضب العقلية في ذلك انه خطأ ، وانه يؤدي الى حال رديّة ، فتمنعها عن ذلك وتضادها . وهذا ايضاً دليل على ان كل واحدة منها غير الاخرى .

علم النفس بعد الموت رهن طهرها في الحياة

وهذه النفس ، التي هي من نور الباري ، عز وجل ، اذا هي فارقت البدن ، علمت كل ما في العالم ، ولم يخف عنها خافية .
والدليل على ذلك قول افلاطن ، حيث يقول ان كثيراً من الفلاسفة الطاهرين القدماء ، لما تجردوا من الدنيا ، وتهاونوا بالاشياء المحسوسة ، وتفردوا بالنظر والبحث عن حقائق الاشياء ، انكشف لهم علم الغيب ، وعلّموا بما يخفيه الناس في نفوسهم ، واطلعوا على سرائر الخلق . فاذا كان هذا هكذا ، والنفس بعد مرتبطة بهذا البدن ، في هذا العالم المظلم الذي لولا نور الشمس لكان في غاية الظلمة ، فكيف اذا تجردت هذه النفس ، وفارقت البدن ، وصارت في عالم الحق ، الذي فيه نور الباري

سبحانه ٩

(١) ترة العيظ : شهرته الاتقام .

(٢) يد الفرس : اي برخي له العنان .

ولقد صدق افلاطون في هذا القياس ، واصاب به البرهان الصحيح .

⊙

ثم ان افلاطون اتبع هذا القول بان قال : فاما من كان عرضة ، في هذا العالم ، للتلذذ بالآكل والمشرب المستحيلة الى الحيف ، وكان ايضا عرضة في لذة الجماع ، فلا سبيل لنفسه العقلية الى معرفة هذه الاشياء الشريفة ، ولا يمكنها الوصول الى التشبه بالباري سبحانه .

ثم ان افلاطون قاس القوة الشهوانية التي للانسان بالخطير ، والقوة الغضبية بالكلب ، والقوة العقلية التي ذكرنا بالملك ، وقال : من غلبت عليه الشهوانية ، وكانت هي عرضة واكثر همته ، فقياسه قياس الخطير ؛ ومن غلبت عليه الغضبية ، فقياسه قياس الكلب ؛ ومن كان الاغلب عليه قوة النفس العقلية ، وكان اكثر ادبه الفكر والتمييز ومعرفة حقائق الاشياء . والبحث عن غوامض العلم ، كان انساناً فاضلاً ، قريب الشبه من الباري سبحانه ، لأن الاشياء التي نجد لها للباري ، عز وجل ، هي الحكمة والقدرة والعدل والخير والجميل والحق ، وقد يمكن للانسان ان يدبر نفسه بهذه الخيلة ، حسب ما في طاقة الانسان ، فيكون حكيماً ، عدلاً ، جواداً ، خيراً ، يؤثر الحق والجميل . . .

فان النفس ، على رأي افلاطون وجلة الفلاسفة ، باقية بعد الموت ، جوهرها كجواهر الباري ، عز وعلا ، في قوتها - اذا تجردت - ان تعلم سائر الاشياء . كما يعلم الباري بها ، او دون ذلك برتبة يسيرة ، لانها اودعت من نور الباري ، عز وجل .

واذا تجردت ، وفارقت هذا البدن ، وصارت في عالم العقل فوق الفلك ، صارت في نور الباري ، ورأت الباري ، عز وجل ، وطابقت

(١) اهلنا سطرين لاضطراب التعبير ، وعدم تأثيرهما في المعنى .

نوره ، وجأت^(١) في ملكوته ، فأنكشف لها حالاً علم كل شيء . ، وصارت الاشياء كلها بارزة لها كمثل ما هي بارزة للباري عز وجل . لاننا اذا كنا ، ونحن في هذا العالم الدنس ، قد نرى فيه اشياء كثيرة بضوء الشمس ، فكيف اذا تجردت نفوسنا ، وصارت مطابقة لعالم الديمومة ، وصارت تنظر بنور الباري ؟ فهي لا محالة ترى بنور الباري كل ظاهر وخفي ، وتقف على كل سرّ وعلائية .

النفس كالمراة

وكان افسقورس^(٢) يقول : « ان النفس اذا كانت ، وهي مرتبطة بالبدن ، تاركة للشهوات ، متطهرة من الادناس ، كثيرة البحث والنظر في معرفة حقائق الاشياء ، انصقلت صقالة ظاهرة ، واتحدت بها صورة من نور الباري ، يحدث فيها ويكامل نور الباري ، بسبب ذلك الصقال الذي اكتسبه من التطهر . فحينئذ يظهر فيها صور الاشياء كلها ومعرفتها ، كما يظهر صور خيالات ساير الاشياء المحسوسة في المراة اذا كانت صقيمة . فهذا قياس النفس : لأن المراة اذا كانت صدئة ، لم يتبين صورته شيء . فيها بته ، فاذا زال منها الصدا ظهرت وتبينت فيها جميع الصور ؛ كذلك النفس العقلية ، اذا كانت صدئة دنسة ، كانت على غاية الجهل ، ولم يظهر فيها صور المعلومات ، واذا تطهرت وتهذبت - وصفا . النفس هو ان النفس تتطهر من الدنس ، وتكتسب العلم - ظهر فيها حالاً صورة معرفة جميع الاشياء ، وعلى حسب جودة صقاتها تكون معرفتها بالاشياء . فالنفس ، كلما ازدادت صقالاً ، ظهر لها وفيها معرفة الاشياء .

(١) جأت : عظمت .

(٢) هكذا في الاصل ، وهو ابيقورس .

النفس لا تنام

وهذه النفس لا تنام بتة ، لانها في وقت النوم تترك استعمال الحواس ، وتبقى محصورة ، ليست بمجردة على حثتها^(١) ، وتعلم كل ما في العوالم ، وكل ظاهر وخفي . ولو كانت هذه النفس تنام ، لما كان الانسان - اذا رأى في النوم شيئاً - يعلم انه في النوم ، بل لا يفرق بينه وبين ما كان في اليقظة . واذا بلغت هذه النفس مبلغها في الطهارة ، رأت في النوم عجائب من الاحلام ، وخاطبتها الانفس التي فارقت الابدان ، وافاض عليها الباري من نوره ورحمته ، فتلتذ حينئذ لذة دائمة ، فوق كل لذة تكون بالمطعم والمشرب والنكاح والجماع والنظر والشم واللمس ، لأن هذه لذات حسية دنسة تُعقب الاذى ، وتلك لذة الهية روحانية تُعقب الشرف الاعظم . والشقي المغرور الجاهل من رضي لنفسه بلذات الحس ، وكانت هي اكثر اغراضه ، ومنتهى غايته .

لهذا العالم معبر

وانما نجى . في هذا العالم في شبه المعبر والجسر ، الذي يجوز عليه السيارة ، ليس لنا مقام يطول . واما مقامنا ومستقرنا الذي نتوقع فهو العالم الاعلى الشريف ، الذي تنتقل اليه نفوسنا بعد الموت ، حيث تقرب من باريها ، وتقرب من نوره ورحمته ، وتراه رؤية عقلية لا حسية ، ويبغض عليها من نوره ورحمته^(٢) . « فهذا قول افسقورس .

فاما افلاطن فقال ، في هذا المعنى : « ان مسكن الانفس العقلية ، اذا تجردت ، هو ، كما قال الفلاسفة القدماء ، خلف الفلك ، في عالم الربوبية ، حيث نور الباري .

(١) اي ليست بمنارقة للجسد .

(٢) ينتهي هنا قول ايقورس الذي بدأ في اول مقطع « النفس كالمرآة » ، ص ٤٦

تطهير النفس بعد الموت

« وليس كل نفس تفارق البدن تصير من ساعتها الى ذلك المحل ، لأن من الانفس ما يفارق البدن ، وفيها دنس واشياء خبيثة ، فمنها ما يصير الى فلك القمر فيقيم هناك مدة من الزمان ، فاذا تهذبت ونقيت ارتفعت الى فلك العطار فقيم هناك مدة من الزمان ، فاذا تهذبت ونقيت ارتفعت الى فلك كوكب . فتقيم في كل فلك مدة من الزمان . فاذا صارت الى الفلك الاعلى ، ونقيت غاية النقاء ، وزالت ادناس الحس وخيالاته وخبثه منها ، ارتفعت حالاً الى عالم العقل ، وجازت الفلك ، وصارت في اجل محل واشرفه ، وصارت حالاً بحيث لا تخفى عليها خافية ، وطابقت نور الباري ، وصارت تعلم كل الاشياء ، قليلها وكثيرها ، كعلم الانسان باصبعه الواحدة ، او بظفره ، او بشعرة من شعره ، وصارت الاشياء كلها مكشوفة بارزة لها ، وفوض اليها الباري اشياء من سياسة العالم تلتذ بفعلها ، والتدبير لها . »

ولعمري لقد وصف افلاطون ، واوجز ، وجمع ، في هذا الاختصار ، معاني كثيرة .

لا علم دونه طهر

ولا صلة الى بلوغ النفس الى هذا المقام والرتبة الشريفة ، في هذا العالم ، وفي ذلك العالم ، الا بالتطهير من الادناس . فان الانسان ، اذا تطهر من الادناس ، صارت نفسه حالاً صقيلة تصلح ، وتقدر ان تعلم الحفياآت من الغيوب . وقوة هذه النفس قريبة الشبه بقوة الاله ،

تعالى شأنه ، اذا هي تجردت عن البدن ، وفارقت ، وصارت في عالمها الذي هو عالم الربوبية .

والعجب من الانسان كيف يهمل نفسه ، ويبعدها من باربيها ، وحالها هذه الحالة الشريفة !

وقد وصف ارسطاطاليس امرَ الملك اليوناني الذي تخرّج بنفسه ، فكث لا يعيش ولا يموت اياماً كثيرة ، كلما افاق اعلم الناس بفنون من علم التيب ، وحدثهم بما رأى من الانفس والصور والملائكة ، واعطاهم في ذلك البراهين . واخبر جماعة من اهل بيته بعمر واحد واحد منهم ، فلما امسح كل ما قال ، لم يتجاوز احد منهم المقدار الذي حدّه له من العمر . واخبر ان خسفاً يكون في بلاد الأوس ، بعد سنة ، وسيل يكون في موضع آخر بعد سنتين ، فكان الامر كما نال .

وذكر ارسطاطاليس ان السبيل في ذلك ان نفسه انما علمت ذلك العلم ، لانها كادت ان تفارق البدن ، وانفصلت عنه بعض الانفصال ، فرأت ذلك . فكيف لو فارقت البدن على الحقيقة ؟ لكانت قد رأت عجائب من أمر الملكوت الاعلى !

طهر نفسك

فقل للباكين ، ممن طبعه ان يبكي من الاشياء المحزنة ، ينبغي ان يبكي ويكثر البكاء على من يهمل نفسه ، وينهك^(١) من ارتكاب الشهوات الحقيرة الحسيسة الدنية الموهوه التي تكسبه الشره ، وقيل بطبعه الى طبع البهايم ، ويدع ان يتشاغل بالنظر في هذا الامر الشريف ، والتخلص

(١) ينهك : يبائع .

اليه ، ويطهر نفسه حسب طاقته . فان الطهر الحق هو طهر النفس ، لا طهر البدن

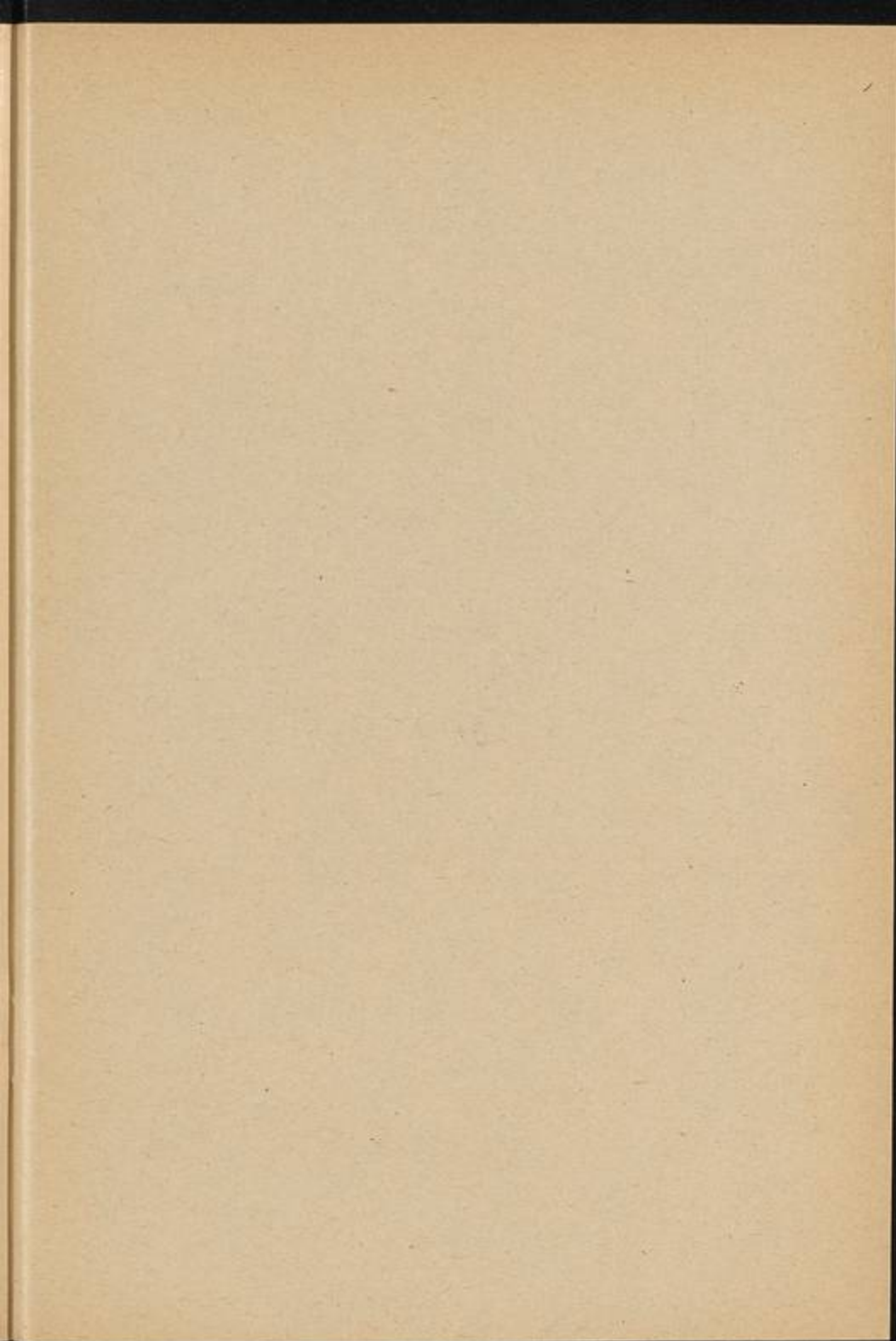
ومن فضيلة المتعبد لله ، الذي قد هجر الدنيا ولذاتها الدنيئة ، ان الجهال كلهم - الا من سخر منهم بنفسه - يعترف بفضله ، ويحله ، ويفرح ان يطلع منه على الخطأ .

فيا ايها الانسان الجاهل ، الا تعلم ان مقامك في هذا العالم انما هو كلمة ، ثم تصير الى العالم الحقيقي ، فتبقى فيه ابد الابدين ؟ ! وانا انت عابر سبيل في هذا الامر ، ارادة باريك عز وجل . فقد علمته جلالة الفلاسفة ، واختصرناه من قولهم ان النفس جوهر بسيط .

فتفهم ما كتبت به اليك تكن سعيداً ، اسعدك الله تعالى في دنياك وآخرتك .

رسالة

في العقل



فَهَكَ اللهُ النَّافِعَاتِ ، وَاسْعِدْكَ فِي دَارِ الْحَيَاةِ وَدَارِ الْمَمَاتِ .
 فَهَسْتُ الَّذِي سَأَلْتَ مِنْ رَسْمِ قَوْلِ فِي الْعَقْلِ ، مُوجِزِ خَبْرِي ، عَلِيٌّ
 رَأَى الْمُحْسُودِينَ مِنْ قَدَمَاءِ الْيُونَانِ ، وَمِنْ أَحْمَدِهِمْ أَرِسْطَاطَالِيْسَ وَمُعَلِّمِهِ
 أَفْلَاطُونَ الْحَكِيمِ ، إِذْ كَانَ حَاصِلُ قَوْلِ أَفْلَاطُونَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ تَلْمِيْزِهِ
 أَرِسْطَاطَالِيْسَ .

فَلنَقْلُ فِي ذَلِكَ ، عَلِيٌّ السَّبِيْلُ الْخَبْرِي ، فَنَقُولُ :
 أَنَّ رَأْيَ أَرِسْطَاطَالِيْسَ فِي الْعَقْلِ أَنَّ الْعَقْلَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ : الْأَوَّلُ
 مِنْهَا الْعَقْلُ الَّذِي بِالْفِعْلِ أَبَدًا . وَالثَّانِي الْعَقْلُ الَّذِي بِالْقُوَّةِ ، وَهُوَ لِلنَّفْسِ .
 وَالثَّلَاثُ الْعَقْلُ الَّذِي خَرَجَ فِي النَّفْسِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ . وَالرَّابِعُ الْعَقْلُ
 الَّذِي نَسَمِيهِ الثَّانِي .

وَهُوَ^(١) يُمَثِّلُ الْعَقْلَ بِالْحَسِّ أَقْرَبَ الْحَسِّ مِنَ الْحَيِّ ، وَعَمُومَهُ لَهُ أَجْمَعٌ ،
 فَانَّهُ يَقُولُ : أَنَّ الصُّورَةَ صَوْرَتَانِ : أَمَّا أَحَدَى الصُّورَتَيْنِ فَالْهِيُولَانِيَّةُ ،
 وَهِيَ الْوَاقِعَةُ تَحْتَ الْحَسِّ . وَأَمَّا الْآخَرَى فَالَّتِي لَيْسَتْ بِذَاتِ هَيْبُولِيٍّ ، وَهِيَ
 الْوَاقِعَةُ تَحْتَ الْعَقْلِ ، وَهِيَ نَوْعِيَّةُ الْأَشْيَاءِ . وَمَا فَوْقَهَا .

فَالصُّورَةُ ، الَّتِي فِي الْهِبُولِيٍّ ، هِيَ الَّتِي بِالْفِعْلِ مُحْسُوسَةٌ ، لِأَنَّهَا لَوْ لَمْ

تكن بالفعل محسوسة ، لم تقع تحت الحس . فاذا افادتها^(١) النفس فهي في النفس . وانما تفيدها النفس لانها في النفس بالقوة ، فاذا باشرت النفس صارت في النفس بالفعل . وليس تصير في النفس كالشيء في الوعاء ، ولا كالمثال^(٢) في الجرم ، لان النفس ليست بجسم ، ولا متجزئة ، فهي في النفس والنفس شيء . واحد لا غير ... وكذلك ايضاً القوة الحاسة ليست هي شيئاً غير النفس ، ولا هي في النفس كالعضو في الجسم ، بل هي النفس ، وهي الحاس . وكذلك الصورة المحسوسة ليست في النفس كغير ... فاذن المحسوس في النفس هو الحاس . فاما الهيولى فان محسوسها غير النفس الحاسة ، فاذن من جهة الهيولى المحسوس ليس هو الحاس .

وكذلك يمثل^(٣) العقل : فان النفس ، اذا باشرت العقل ، اعني الصور التي لا هيولى لها ولا فنطاسيا^(٤) ، اتحدت بالنفس ، اعني انها كانت موجودة في النفس بالفعل ، وقد كانت قبل ذلك لا موجودة فيها بالفعل ، بل بالقوة . فهذه الصورة التي لا هيولى لها ولا فنطاسيا هي العقل المستفاد للنفس من العقل الاول ، الذي^(٥) هو نوعية الاشياء التي هي بالفعل ابداً . وانما صار مفيداً ، والنفس مستفيدة ، لان النفس بالقوة عاقلة ، والعقل الاول بالفعل . وكل شيء . افاد شيئاً ذاته ، فان المستفيد كان له ذلك الشيء بالقوة ، ولم يكن له بالفعل . وكل ما كان لشيء بالقوة فليس يخرج الى الفعل بذاته ، لانه لو كان بذاته كان ابداً بالفعل ، لان ذاته

(١) افادتها : ادركتها .

(٢) المثال : الصورة .

(٣) اي ارسطو .

(٤) صورة محسوسة .

(٥) الذي : يعود الى العقل المستفاد .

له ابدأ ما كان موجوداً . فاذن كل ما كان بالقوة فانما يخرج الى الفعل باخر ، هو ذلك الشيء . بالفعل . فاذن النفس عاقلة بالقوة ، وخارجة بالعقل الاول - اذا باشرته - الى ان تكون عاقلةً بالفعل . فانها اذا احدث الصورة العقلية بها ، لم تكن هي والصورة العقلية متغايرة ، لانها ليست بمنقسمة فتغاير . فاذا احدثت بها الصورة العقلية فهي والعقلُ شيء واحد ، فهي عاقلة ومعقولة . فاذن العقل والمعقول شيء . أحد من جهة النفس .

فاما العقل ، الذي بالفعل ابدأ ، المخرجُ النفس الى ان تصير بالفعل عاقلةً ، بعد ان كانت عاقلةً بالقوة ، فليس هو ومعقوله شيئاً احداً . فاذن المعقول في النفس والعقل الاول ، من جهة العقل الاول ، ليس بشيء واحد . فاما من جهة النفس فالعقل والمعقول شيء واحد . وهذا في العقل هو بالبسيط اشبه بالنفس ، واغوى منه في المحسوس كثيراً .

فاذن العقل اما علة واول لجميع المعقولات والعقول الثواني ، واما ثانٍ وهو بالقوة للنفس ما لم تكن النفس عاقلة بالفعل^١ . والثالث هو الذي بالفعل للنفس ، وقد اقتنمه وصار لها موجوداً ، متى شئت استعملته واظهرته لوجود غيرها منها ، كالكتابة في الكتاب فهي معدة ممكنة قد اقتناها وثبتت في نفسه ، فهو يخرجها ويستعملها متى شاء . واما الرابع فهو العقل الظاهر من النفس ، متى اخرجته ، فكان موجوداً لغيرها منها بالفعل .

فاذن الفصل بين الثالث والرابع ان الثالث قُنِيَةٌ للنفس ، قد مضى وقت مبتدأ قنيتها ، ولها ان تخرجه متى شئت ، والرابع أنه اما وقت قنيتها اولاً ، واما وقت ظهوره ثانياً ، متى استعملته النفس . فاذن الثالث

(١) اي الى ان نصبح النفس عاقلة بالفعل .

هو الذي للنفس قنيةٌ قد تقدمت ، ومتى شامت كان موجوداً فيها ، راما
الرابع فهو الظاهر^(١) في النفس متى ظهر بالفعل .

والحمد لله كثيرا بحسب استحقاقه .

فهذه آراء الحكماء الاولين في العقل . وهذا - كان الله لك مسدداً -
قدرُ هذا القول فيه ، اذ كان ما طلبتَ القول المرسل الخبيري الكافي ،
فكن به سعيدا !

(١) يسمى هذا العقل الظاهر العقل الثاني ، في اول الرسالة . التسمية غامضة ،
اما المعنى فواضح .

العقل المستفاد

النفس عاقلة بالفعل ، عند اتحاد الانواع بها ، وقبل اتحادها بها كانت عاقلة بالقوة . وكل شيء . هو شيء . بالقوة فانما يُخرجهُ الى الفعل شيء آخر - هو ذلك المخرج من القوة الى الفعل - بالفعل . والذي اخرج النفس ، التي هي عاقلة بالقوة ، الى ان صارت عاقلة بالفعل - اعني متحدة بها انواع الاشياء . واجناسها ، اعني كلياتها - هي الكليات اعيانها ، فانها باتحادها بالنفس صارت النفس عاقلة ، اي لها عقل ما ، اي بها كليات الاشياء . فكليات الاشياء ، اذ هي في النفس خارجة من القوة الى الفعل ، هي العقل المستفاد ، الذي كان لها بالقوة ، فهي العقل الذي بالفعل الذي اخرج النفس من القوة الى الفعل .

(الفلسفة الاولى - ١٥٥)

الحس والمصورة

ان الفصل بين الحس وبين القوة المصورة أن الحس يوجدنا صور محسوساته محمولة في طبيعتها ، فاما هذه القوة فانها توجدنا الصور الشخصية مجردة ، بلا حوامل . . .

وقد تعمل هذه القوة اعمالها في حال النوم واليقظة ، الا انها في النوم اظهر فعلاً واقوى منها في اليقظة واذلك ما توجد الصورة النومية اتقن واحسن .

وايضاً فانها تقدر ان تركب الصور ، فاما الحس فلا يركب الصورة . . . فان البصر لا يقدر على ان يوجدنا انساناً له قرن او ريش او غير ذلك مما ليس للانسان في الطبع ، ولا حيواناً من غير الناطق ناطقاً . . . فاما فكرنا فليس بممتنع عليه ان يوهم الانسان طائراً او ذا ريش ، والسبع ناطقاً .

(ماهية النوم وازوايا)

الرؤيا

فاما لماذا نرى الاشياء قبل كونها ... فان العلة في ذلك ما للنفس من العلم بالطبع ، وانها موضع لجميع الاشياء الحسية والعقلية ...
ليس المحسوس في النفس شيئاً اخر غير الحاس ، فانه ليس ثم غير
وغير ، انا هي ذات واحدة بسيطة ...

وكذلك معقولها فانه ليس غير القوة منها المسماة عقلاً ، اذ كان
معنى قولنا محسوس انا هو الاشخاص ، وقولنا معقول انا هو الانواع وما
فوق الانواع الى جنس الاجناس .

فاذا كان المحسوس موجوداً في النفس ، فليس الحاس في النفس
غير المحسوس . وكذلك العقل من النفس ليس هو غير المعقول في حال
وجود النفس المعقول . فاذن العقل في النفس هو المعقول ، والحس هو
المحسوس ، اذا كانا موجودين للنفس . فاما ، قبل ان يوجد ، فان
المحسوس هو صور الاشخاص ، والمعقول هو صور ما فوق الاشخاص ،
اعني الانواع والاجناس . والاجناس والانواع والاشخاص هي جميع
المعقولات ، فهي اذا كانت للحس العاقل - اي موجودة لنفسه -
فهي جميعاً في نفسه . فلذلك قال افلاطون : ان النفس مكان جميع
الاشياء المحسوسة والمعقولة . فاذن النفس علامة بالطبع ، لان العلم اجمع
انا هو للحس والعقل ، وما جانسها وعمتها .

فاذن قد يقرب ان يتبين ما العلة في اختلاف احوال الرؤيا في تقدمه
معارفها . فان النفس ، لانها علامة يقظانة حية ، قد ترمز بالاشياء قبل
كونها ، أو تنبئ بها باعيانها .

(ماهية النوم والرؤيا)

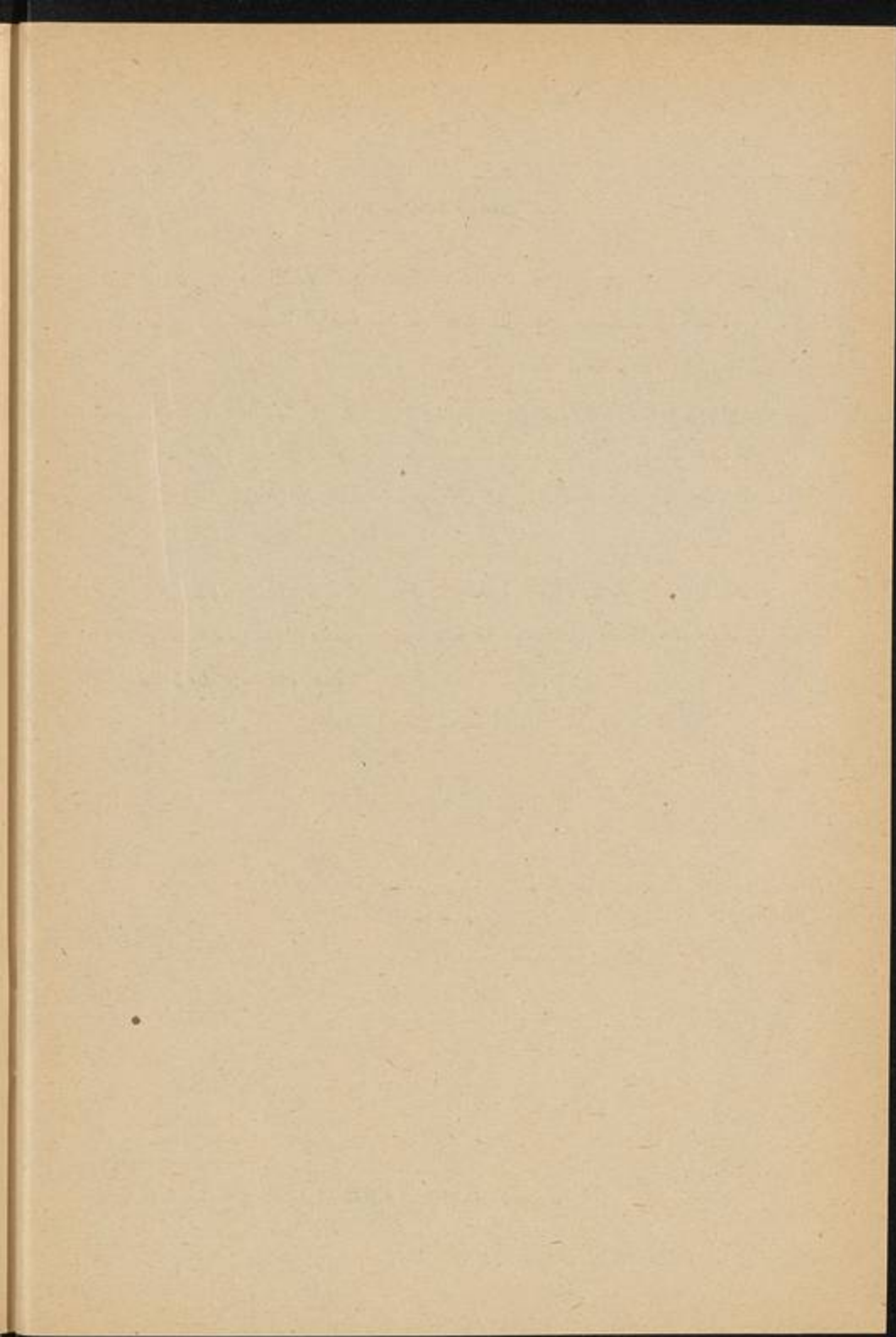
الإنسان عالم صغير

سمى ذرو التمييز من حكما. القدماء ، من غير اهل لساننا ،
 الانسانَ عالمًا صغيراً ، اذ فيه جميع القوى التي هي موجودة في الكل ،
 اعني النماء والحيوانية والمنطقية ، وفيه الارضية كالعظام وما اشبهها ،
 والمائية كالرطوبات التي فيه . . . وكالهواء جو باطنه وجميع جوفه ،
 وكالنار حرارته الفريزية ، وكالنبات شعره ، وكالحيوانات المتولدة
 الحُرشات^(١) المتولدة في باطنه وظاهره . . . فان لكل واحد من هذه فيه
 شياً .

فا الذي يُنكر من ان تكون القدرة الحقة التامة مثلاً الكلِّ
 مثلاً حيوان واحد ، موجودٌ فيه جميع ما يوجد في الكل ، وانسان
 واحد توجد فيه جميع هذه ؟

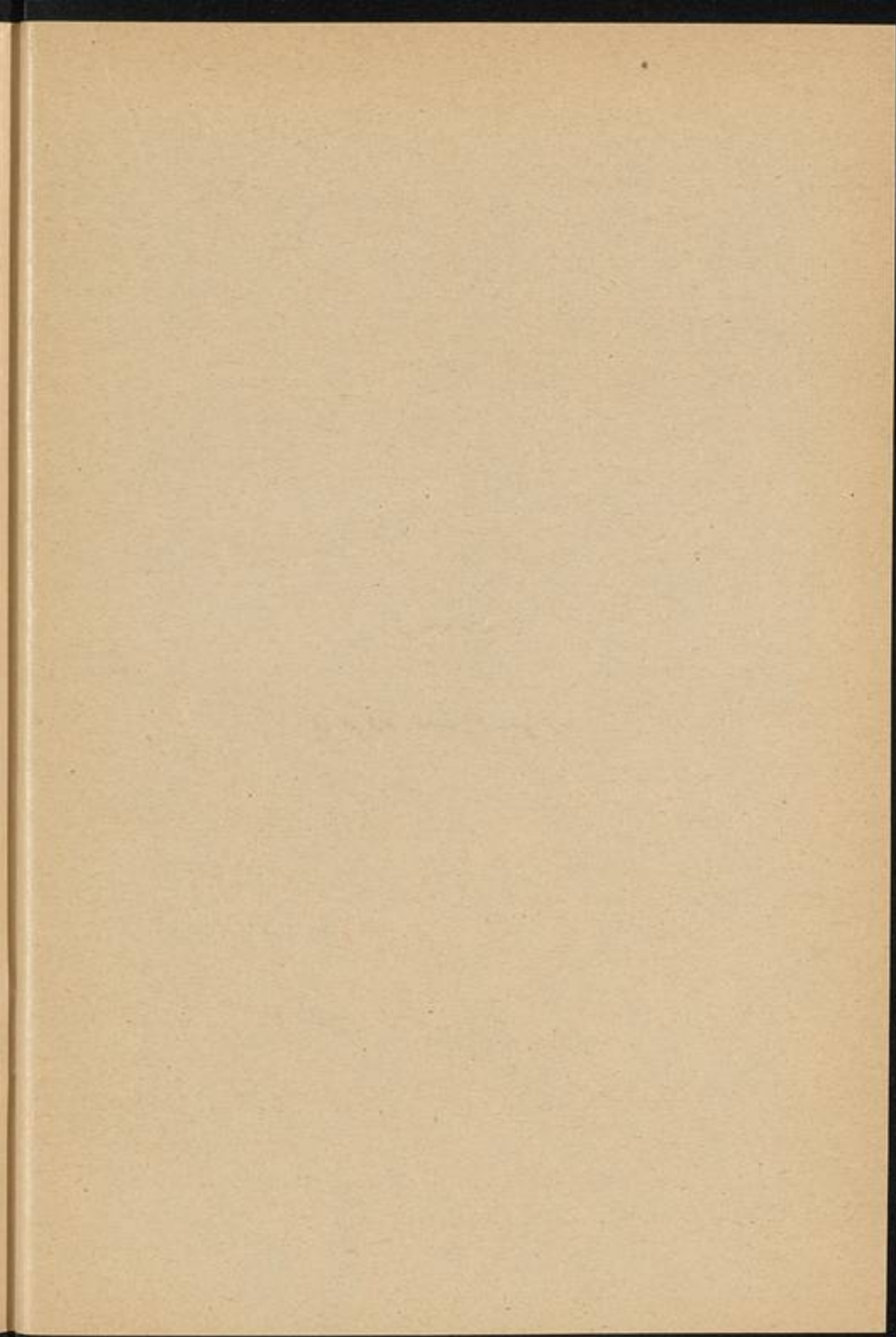
(الابانة عن سجود الجرم الاقصى وطاعته لله)

(١) الحُرشات : جمع حُرشة ، وهي واحدة الذباب .



رسالة

في حدود الاشياء ورسومها



- العلة الاولى : مبدعة ، فاعلة ، متممة الكل ، غير منحركة .
- العقل : جوهر بسيط مدرك للاشياء بحقائقها .
- النفس : تامة جرم طبيعي ، ذي آلة ، قابل للحياة . ويقال : هي استكمال اول جرم طبيعي ، ذي حياة بالقوة . . .
- الجرم : ما له ثلاثة ابعاد .
- الإبداع : اظهار الشيء . عن ليس .
- الهوى : قوة موضوعة لحل الصورة ، منفصلة .
- الصورة : الشيء . الذي به الشيء . هو ما هو .
- الاختيار : ارادة قد تقدمها روية مع تمييز .
- الكمية : ما احتمل المساواة وغير المساواة .
- الكيفية : ما هو شبيه وغير شبيه .
- الحركة : تبدل حال الذات .
- الزمان : مدة تعدها الحركة ، غير ثابتة الاجزاء .
- المكان : نهايات الاجسام . ويقال : هو التقاء أفقي المحيط والمحاط به .
- التوهم : هو الفنتاسيا ، قوة نفسانية ومدركة للصور الحسية مع غيبة طبيعتها . ويقال : الفنتاسيا ، وهو التخيل ، وهو حضور صور الاشياء المحسوسة مع غيبة طبيعتها .
- الارادة : قوة يُقصد بها الشيء . دون الشيء . . .

- المحبة : علة اجتماع الاشياء .
- الايقاع : فعلُ فصل زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة .
- الاسطقس : منه يكون الشيء ، واليه يرجع منجلاً ، وفيه الكائن بالقوة . وايضا : هو عنصر الجسم ، وهو اصغر الاشياء من جملة الجسم .
- الفريزة : طبيعة حالة في القلب ، أعدت فيه لينال بها الحياة .
- الوهم : وقوف شي . للنفس بين الايجاب والسلب ، لا ميل الى واحد منها .

- القوة : ما ليس بظاهر ، وقد يمكن ان يظهر عما هو فيه بالقوة .
- الازلي : الذي لم يكن ليس ، وليس يحتاج في قوامه الى غيره .
- والذي لا يحتاج في قوامه الى غيره فلا علة له ، وما لا علة له فذائم ابدا .
- العلل الطبيعية اربع : ما منه كان الشيء ، اعني عنصره .
- وصورة الشيء . التي بها هو ما هو . ومبتدأ حركة الشيء . التي هي علته .
- وما من اجله فعل الفاعل مفعوله .

- الفلك : عنصر وذو صورة ، فليس بازلي .
- الحال : جمع المتناقضين في شي . ما ، في زمان واحد ، وجزء .
- واطافة واحدة .

- اليقين : هو سكون الفهم مع ثبات القضية ببرهان .
- الفلسفة : حدّها القداما . بعدة حدود :
- اما من اشتقاق اسمها ، وهو حب الحكمة ، لان « فيلسوف » هو مركب من فلا وهو محب ، ومن سوف وهي الحكمة .
- وحدوها ايضاً من فعلها فقالوا : ان الفلسفة هي التشبه بافعال الله تعالى ، بقدر طاقة الانسان - ارادوا ان يكون الانسان كاملاً الفضيلة .

- وحدوها ايضاً من جهة فعلها فقالوا : العناية بالموت . والموت

- عندهم موتان : طبيعي وهو ترك النفس استعمال البدن ، والثاني إماتة الشهوات . فهذا^١ هو الموت الذي تصدوا اليه ، لأن إماتة الشهوات هي السبيل الى الفضيلة ، وكذلك قال كثير من اجلّة القدماء : اللذة شر . . .
- وحدوها ايضاً من جهة العلة فقالوا : صناعة الصناعات وحكمة الحكم .
- وحدوها ايضاً فقالوا : الفلسفة معرفة الانسان نفسه . وهذا قول شريف النهاية ، بعيد الغور . . . فانه اذا عرف ذاته ، عرف الجسم باعراضه ، والعرض الاول ، والجوهر الذي هو لا جسم . فاذن ، اذا علم ذلك جميعاً ، فقد علم الكل . ولهذا العلة سمي الحكماء الانسان العالم الاصغر .
- فاما ما يُحدُّ به عين الفلسفة فهو ان الفلسفة علم الاشياء الابدية الكلية ، ايتياتها ومائيتها وعللها ، بقدر طاقة الانسان .
- الشك : هو الوقوف على حدّ الطرفين من الظن ، مع تهمة ذلك الظن .
- المحبة : مطلوبُ النفس ، ومتممةُ القوة التي هي اجتماع الاشياء . ويقال : هي حال النفس فيما بينها وبين شي . يجنبها اليه .
- العشق : افراط المحبة .
- المعرفة : رأي غير زائل .
- الحقد : غضب يبقى في النفس على وجه الدهر .
- الفضائل الانسانية :
- هي الخلق الانساني المحمود . وهي تنقسم قسمين أولين : احدهما في النفس ، والاخر مما يحيط بدن الانسان من الآثار الكائنة عن النفس .

(١) اي فهذا الثاني .

اما القسم الكائن في النفس فينقسم ثلاثة اقسام : احدها الحكمة ،
والاخر النجدة ، والاخر العفة . واما الذي يحيط بذوي النفس فالآثار
الكائنة عن النفس ، والعدل فيما احاط بذوي النفس .

واما الحكمة فهي فضيلة القوة النطقية ، وهي علم الاشياء الكلية
بمقائنها ، واستعمال ما يجب استعماله من الحقائق .

واما النجدة فهي فضيلة القوة الغلبية ، وهي الاستهانة بالموت في اخذ
ما يجب اخذه ، ودفع ما يجب دفعه .

واما العفة فهي تناول الاشياء التي يجب تناولها لتربية ابدانها وحفظها
بعد التام ، واثبات امثالها ، والامسك عن تناول غير ذلك .

وكل واحدة من هذه الثلاث سور للفضائل .

— الفضائل :

لها طرفان : احدهما من جهة الافراط ، والاخر من جهة التقصير ،
وكل واحد منها خروج عن الاعتدال ، لان حد الخروج عن الاعتدال
مقابل للاعتدال باشد انواع المقابلة تبايناً — اعني الايجاب والسلب —
فان الخروج عن الاعتدال رذيلة ، وهو ينقسم قسمين متضادين : احدهما
الافراط ، والاخر التقصير ...

للنجدة خروج القوة الغلبية عن الاعتدال ، وهي رذيلة الاعتدال ،
وهو ينقسم قسمين متضادين : احدهما من جهة السرف وهو التهور والهوج ،
واما الآخر فهو من جهة التقصير ، وهو الجبن .

واما غير الاعتدال في العفة فهي رذيلة ايضاً مضادة للعفة ، وهي
تنقسم قسمين : احدهما من جهة الافراط ، وهو ينقسم ثلاثة اقسام ،
ويعتبر الحرص — احدها الحرص على المآكل والمشارب وهو الشره
والنهم وما سمي كذلك ، ومنها الحرص على النكاح من حيث سنع ... ،
ومنها الحرص على الغنى وهو الرغبة الذميمة الداعية الى الحسد والمنافسة ،

وما كان كذلك. واما الآخر الذي من جهة التقصير فهو الكسل وانواعه.

ففضيلة هذه القوى النفسانية جميعاً الاعتدال المشتق من العدل.

وكذلك الفضيلة ، في ما يحيط بذى النفس من الآثار الكائنة عن النفس ، هي العدل في تلك الآثار ، اعني في ارادات النفس من غيرها وبغيرها ، وافعال النفس في هذه المحيطة بذى النفس . فاما الرذيلة في هذه المحيطة بذى النفس فالجور المضاد في العدل فيها . . .

— الانسانية : هي الحياة والنطق والموت .

— الملائكية : الحياة والنطق .

— البهيمية : هي الحياة والموت .

فضل الفهماء

ومن أوجب الحق الآ ندماً من كان أحد أسباب منافعنا الصغار الهزيلة ، فكيف بالذين هم اكبر اسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية . فأنهم وان قصروا عن بعض الحق ، فقد كانوا لنا انساباً وشركاء . في ما افادونا من ثمار فكرهم ، التي صارت لنا سبلاً وآلات مؤدية الى علم كثير مما قصرنا عن نيل حقيقته ، ولا سيما اذ هو بين عندنا ، وعند المبرزين من المتفلسفين قبلنا من غير اهل لساننا ، انه لم ينل الحق - بما يستأهل الحق - احد من الناس بجهد طلبه ، ولا احاط به جميعهم . بل كل واحد منهم اما لم ينل منه شيئاً ، واما نال منه شيئاً يسيراً بالاضافة الى ما يستأهل الحق . فاذا جمع يسير ما نال كل واحد من النائلين الحق منهم ، اجتمع من ذلك شيء له قدر جليل .

فينبغي ان يعظم شكرنا الآتين بيسير الحق ، فضلاً عن اتي بكثير من الحق ، اذ اشركونا في ثمار فكرهم ، وسهواوا لنا المطالب الحقيقية الخفية بما افادونا من المقدمات المسهلة لنا سبل الحق . فانهم لو لم يكونوا ، لم يجتمع لنا - مع شدة البحث في مددنا كلها - هذه الاوائل الحقيقية التي بها تخرجنا الى الاواخر من مطلوباتنا الحقيقية . فان ذلك انما اجتمع في الاعصار الساقطة المتقدمة عصرًا بعد عصر ، الى زماننا هذا ، مع شدة البحث ، ولزوم الدأب ، وايتار التعب في ذلك .

وغير ممكن ان يجتمع في زمن المرء الواحد ، وان اتسعت مدته ، واشتد بجته ، ولطف نظره ، وآثر الدأب ، ما اجتمع من شدة البحث والطاقم النظر وايتار الدأب في اضعاف ذلك من الزمان الاضعاف الكثيرة .

فاما ارسطوطاليس ، مبرز اليونانيين في الفلسفة ، فقال: ينبغي لنا ان

نشكر آباء الذين اتوا بشي. من الحق ، اذ كانوا سبب كونهم ، فضلاً عنهم ، اذ هم سبب لهم ، واذا هم سبب لنا الى نيل الحق . فما احسن ما قال في ذلك !

وينبغي لنا ان لا نستحي من استعسان الحق ، واقتناء الحق من اين اتى ، وان اتى من الاجناس القاصية عنا ، والامم المباينة ، فانه لا شي. اولى بطالب الحق من الحق ...

فحسن بنا - اذ كنا حراساً على تسميم نوعنا ، اذ الحق في ذلك - ان نازم في كتابنا هذا عاداتنا ، في جميع موضوعاتنا ، من احضار ما قال القدماء في ذلك قولاً تاماً ، على أقصد سبيله واسهلها سلوكاً على ابنا. هذه السبيل ، وتسميم ما لم يقولوا فيه قولاً تاماً ، على مجرى عادة اللسان وستة الزمان ، وبقدر طاقتنا ، مع العلة العارضة لنا في ذلك من الانحصار عن الاتساع في القول ، المحلل لعقد العويص المتبسة ، توقيماً سوء تأويل كثير من المتسبين بالنظر في دهرنا من اهل الغربة عن الحق ، وان تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق ، لضيق فطنهم عن اساليب الحق ، وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلالة في الرأي ، والاجتهاد في الانفصاع العامة الكل ، الشاملة لهم ، ولدراية الحسد المتمكن من انفسهم البهيمية ، والحاجب بسدّف سجوفه ابصار فكرهم عن نور الحق ، ووضعهم ذوي الفضائل الانسانية ، التي قصرنا عن نيلها ، وكانوا منها في الاطراف الشاسعة ، بموضع الاعداء الجريئة الواثرة ، ذباً عن كراسيهم المزورة التي نصبوها عن غير استحقاق ، بل للترؤس والتجارة بالدين ، وهم عدما. الدين ، لان من تجرّ بشي. باعه ، ومن باع شيئاً لم يكن له ، فمن تجرّ بالدين لم يكن له دين ، ويحتم ان يتعري من الدين من عاند قنينة علم الاشياء بمحققاتها ، وستاها كفراً ، لان في علم الاشياء بمحققاتها علم الربوبية ، وعلم الوحدانية ، وعلم الفضيلة ، وجملة علم كل نافع ، والسبيل اليه .

والبعد عن كل ضارّ والاحتباس منه . واقتناء هذه جميعاً هو الذي اتت به الرسل الصادقة عن الله ، جلّ ثناؤه . فان الرسل الصادقة ، صلوات الله عليها ، اتت بالاقرار ربوبية الله وحده ، وبازوم الفضائل المرتضاة عنده ، وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذواتها ، وآثارها . فواجب اذن التمسك بهذه القنية النفيسة عند ذوي الحق ، وان نسعى في طلبها بغاية جهدنا ، لما قدّمنا ، ولما نحن قائلون الآن . وذلك انه ، باضطرار ، يجب على السنة المضادين لها اقتنائها . وذلك انهم لا يخلون من ان يقولوا ان اقتنائها يجب او لا يجب . فان قالوا انه يجب ، وجب طلبها عليهم . وان قالوا انها لا تجب ، وجب عليهم ان يحضروا علة ذلك ، وان يُعطوا على ذلك برهاناً واعطاء . العلة والبرهان من قنية علم الاشياء بحقائقها . فواجب اذن طلب هذه القنية بالستهم ، والتمسك بها اضطراراً عليهم .



فنحن نسأل المطلع على سرائرنا ، والعالم اجتهدانا في تثبيت الحجّة على ربوبيته ، وايضاح وحدانيته ، وذبح المعاندين له الكافرين به عن ذلك بالحجج القامعة لكفرهم ، والهاتكة لسجوف فضائهم ، المخبرة عن عورات محلهم المرديّة ، ان يحوطنا ومن سلك سبيلنا بخصم عزه الذي لا يُرام ، وان يُلبسنا سراويل جنته الواقية ، ويهب لنا نصرة غروب اسلحته النافذة ، والتأييد بعزّ قوته الغالبة ، حتى يبلّغنا بذلك نهاية نيّتنا من نصرة الحق ، وتأيد الصدق ، ويبلّغنا بذلك درجة من ارتضى نيّته ، وقبل فعله ، ووهب له الفلّح والظفر على اصداده ، الكافرين نعمته ، والحائدين عن سبيل الحق المرتضاة عنده .

(الفلسفة الاولى)

ضرورة التأويل

ان قول الصادق محمد ، صلوات الله عليه ، وما ادى عن الله عز وجل ، لموجوداً جميعاً بالمقاييس العقلية ، التي لا يدفعها الا من حُرم صورة العقل ، واتحد بصورة الجهل ، من جميع الناس .

فاما من آمن برسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وصدقته ، ثم جحد ما اتى به ، وانكر ما تأول ذور الدين والالباب من اخذ عنه ، صلوات الله عليه ، فظاهر الضعف في تمييزه ، اذ يُبطل ما يُثبتته ، وهو لا يشعر بما اتى من ذلك ، او يكون ممن جهل العلة التي اتى بها الرسول صلوات الله عليه ، ولم يعرف اشتباه الاسماء فيها والتصريف والاشتقاق اللواتي ، وان كانت كثيرة في اللغة العربية ، فانها عامة لكل لغة .

(الابانة عن سجود الجرم الاقصى)

علم الرسل

... كعلم الرسل ، صلوات الله عليهم ، الذي خصه الله ، جلّ وتعالى علواً كبيراً ، انه بلا طلب ولا تكلف ولا بحث ، ولا مجيلة بالرياضات والمنطق ، ولا بزمان ، بل مع ارادته ، جلّ وتعالى ، بتطهير انفسهم وِإنارتها للحق بتأييده وتسديده والهامة ورسالاته .

فان هذا العلم خاصة للرسل ، صلوات الله عليهم ، دون البشر ، واحد خوالجهم العجيبة ، اعني آياتهم الفاصلة لهم من غيرهم من البشر ...

فانه ان تدبّر متدبّر جوابات الرسل فيما سئلوا عنه من الامور الحفية الحقية ، التي اذا قصد الفيلسوف الجواب فيها يجهد حيلته التي اكسبته عليها - لطول الدؤوب في البحث والترويض - ما نجده اتي بثلها في الوجازة

والبيان وقرب السبيل والاحاطة بالمطلوب ، كجواب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في ما سأله المشركون . . . : « يا محمد ، من يحيي العظام ، وهي رميم ؟ » . . . فاوحى اليه الحق ، جل ثناؤه : « قل : يحييها الذي انشأها اول مرة ، وهو بكل خلق عليم - الى قوله : كن فيكون » .
 فاي دليل في العقول النيرة الصافية ابين واوجز من انه اذا كانت العظام ، بل ان لم تكن ، فممكن ، اذا بطلت بعد ان كانت وصارت رميمياً ، ان تكون ايضاً ؟ . . . اي بشر يقدر ، بفلسفة البشر ، ان يجمع في قول بقدر حروف هذه الآية ما جمع الله . . . كالت عن مثل ذلك الالسن المنطقية المتجيلة ، وقصرت عن مثله نهايات البشر ، وحُجبت عنه العقول الجزئية .

(كسبة كتب ارسطوطاليس)

فلاسفة العرب

سلسلة دراسات ومختارات

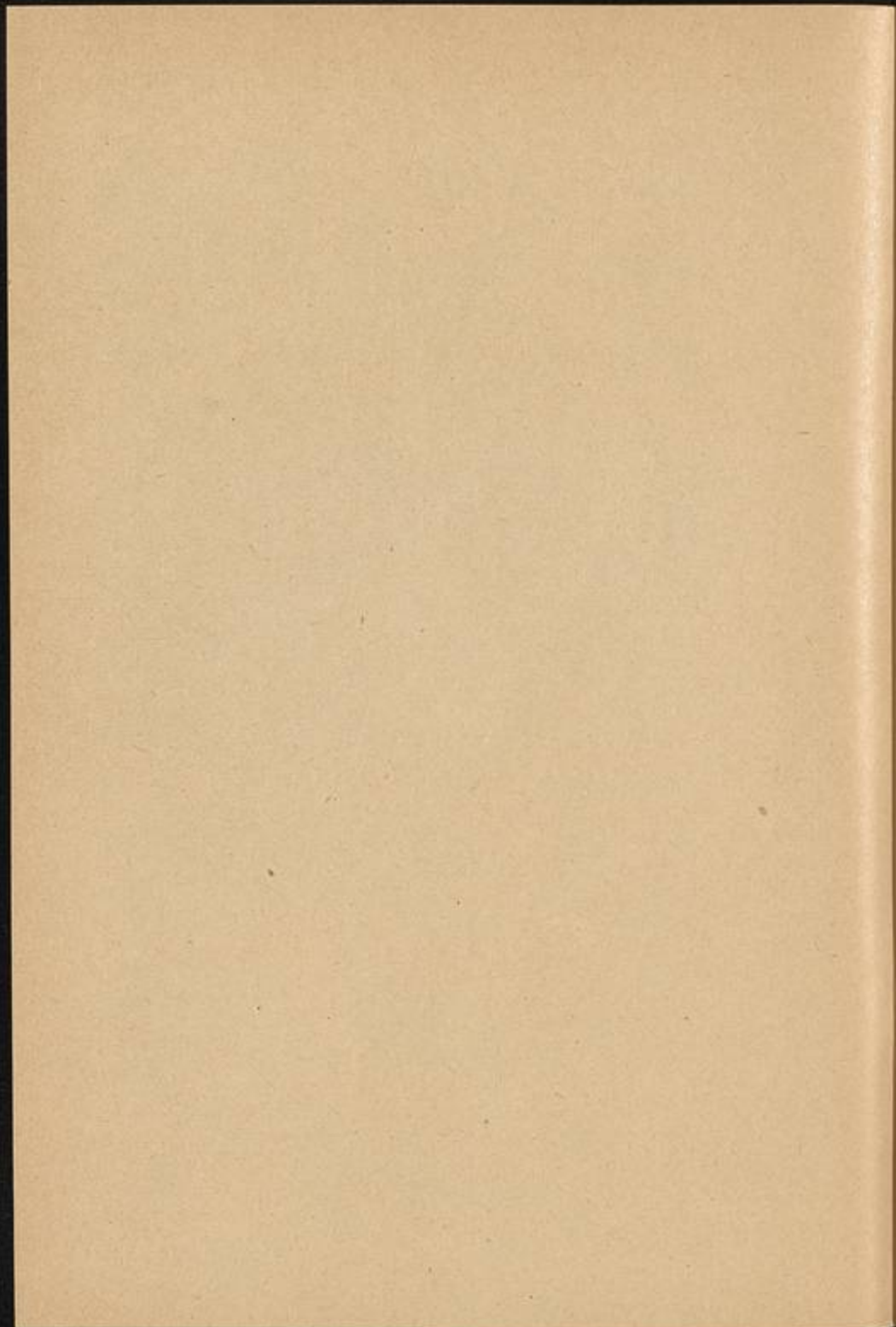
ظهر منها :

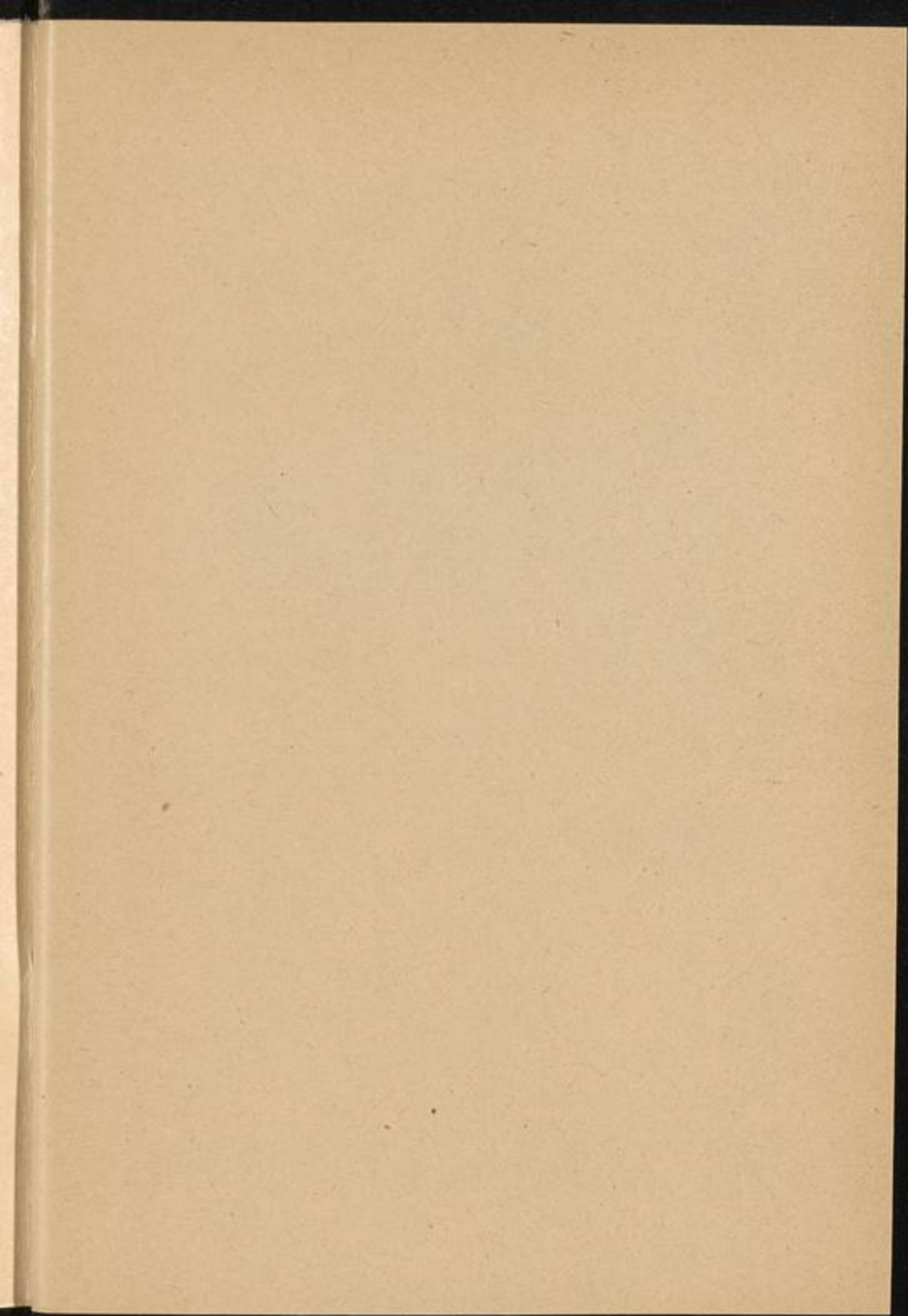
- ١ - ابن الفارض (طبعة ثانية)
- ٢ - ابو العلاء المعري (طبعة ثانية)
- ٣ - ابن خلدون (طبعة ثانية)
- ٤ - التزالي : في جزئين (طبعة ثانية)
- ٥ - ابن طفيل (طبعة ثانية)
- ٦ - ابن رشد : في جزئين (طبعة ثانية)
- ٧ - اخوان الصفا .

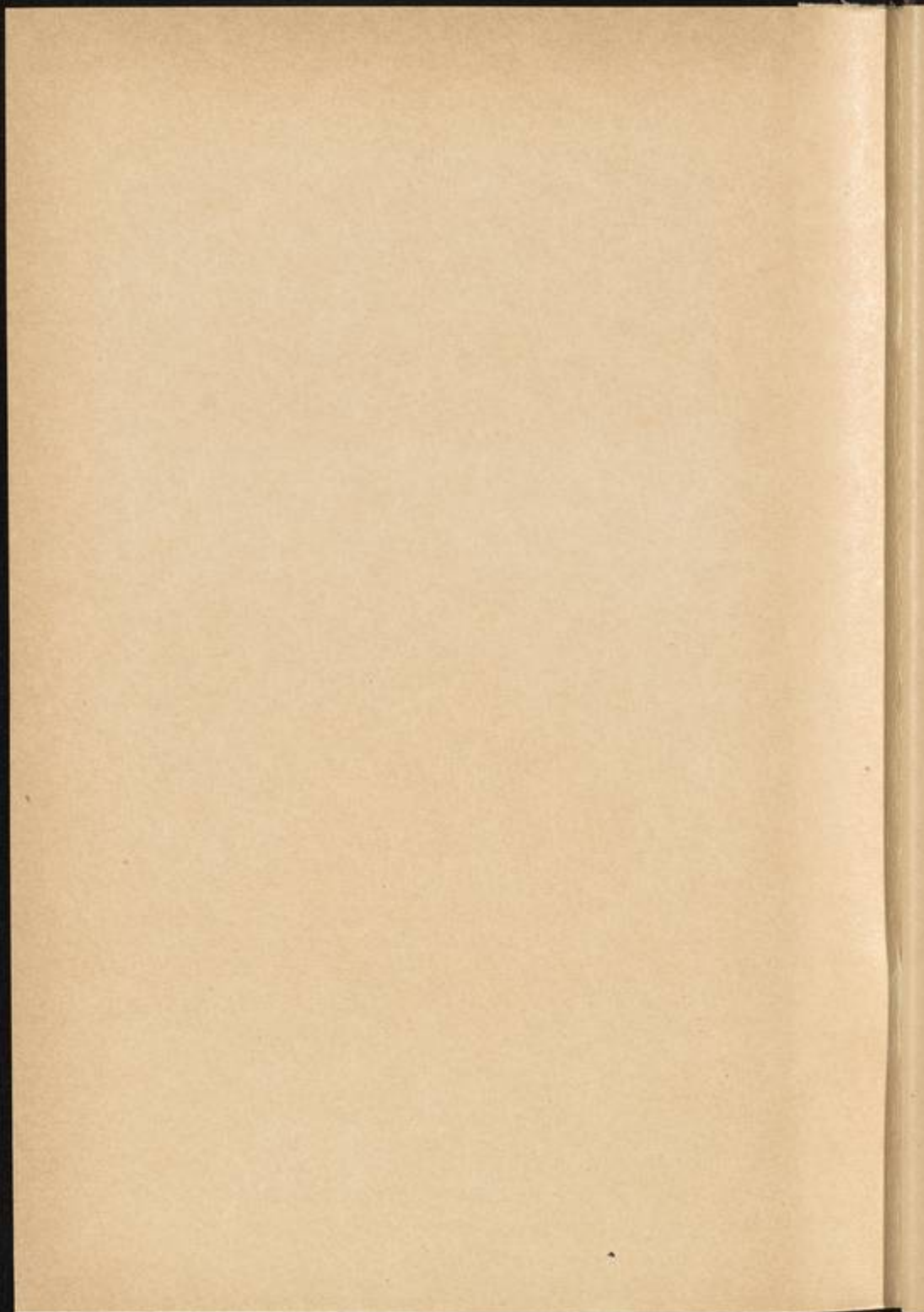
للمؤلف ايضاً :

قربان الاغانى : معرب عن طاغور

تمّ طبع هذا الكتاب
في الثامن من شهر آذار
سنة ١٩٥٤









المستودع الوحيد المكتبة الشرقية، ساحة البخمة - بيروت

١٠٠ غ . ل .

Cornell University Library

B741 .Q98

v.6

Falasifat al-Arab / Yuhanna Qumayr.



3 1924 032 319 331

olin

B
741
Q98
v.8